المؤمنُ السّاعي في الزّمنِ الصّعب

قبساتٌ من ملامحِه الإيمانيّة ومواقفِه المبدئيّة

بقلم :

عبدالعظيم المهتدي البحراني

المؤمنُ السّاعي في الزّمنِ الصّعب

محفوظة جميع الحقوق

هوية الكتاب:

* الكتاب : أبوطالب .. المؤمنُ السّاعي في الزّمنِ الصّعب .
* المؤلف: الشيخ عبدالعظيم المهتدي البحراني.
* الطبعة: الأولى ١٤٤٢ هـ/ ٢٠٢١ م .

الناشر:

مكتب العلامة المهتدي

00973 36445446 AlMuhtadiOffice

* التنسيق والإخراج الفني: البروج ميديا:

00973 36611865 Albrooj

المؤمنُ السّاعي في الزّمنِ الصّعب

"قبساتٌ من ملامحِه الإيمانيّة ومواقفِه المبدئيّة"

بحثٌ شارك به سماحة الشيخ عبد العظيم المهتدي البحراني في "المؤتمر الدولي لأبي طالب حامي الرسول الأعظم ﷺ". الذي دعا اليه المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام في مدينة قم المقدّسة المنعقد في السادس والعشرين من شهر رجب سنة ١٤٤٢ في ذكرى وفاته رضي الله عنه.

بسم الله الرحمن الرحيم

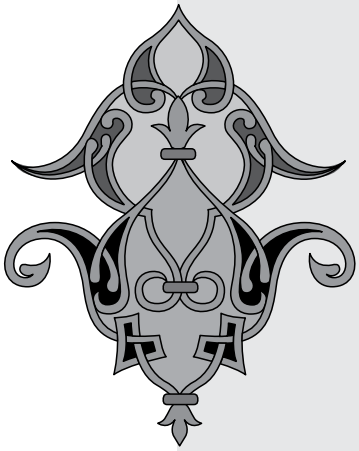

آية الكتاب

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾.

[سورة الإسراء ١٩]

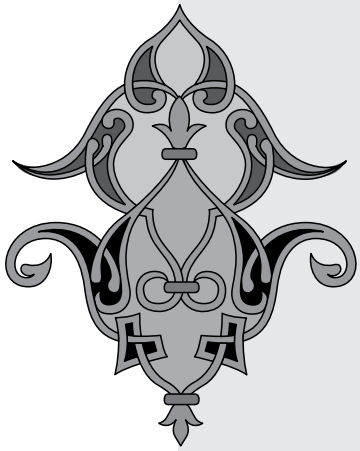

رواية الكتاب

قـال رسـول الله محمّـد بـن عبـدالله ﷺ: (فِي الْقَلْـبِ نُورٌ لاَ يُـضِيءُ إِلاَّ مِـنِ اتِّبَـاعِ الْحَـقِّ وَ قَصْدِ السَّـبِيلِ ، وَ هُـوَ نُورٌ مِنَ الْمُرْسَـلِينَ الْأَنْبِيَـاءِ مُـوَدَّعٌ فِي قُلُـوبِ الْمُؤْمِنِينَ).

بحار الأنـوار - للعلّامة المجلسي - ج ٢ ص ٢٦٥

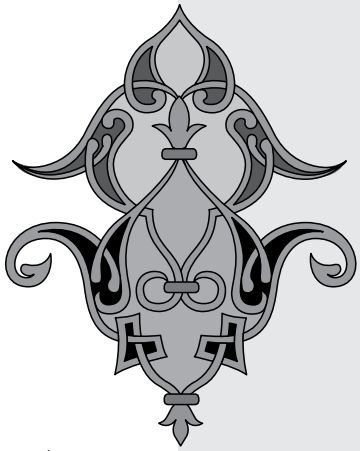

كلمة الإهداء

إليك يا رسول الله محمّد بن عبدالله صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم -دون غيرهم- كلّ رجس وطهّرهم تطهيرًا...

إليك سيّدي يا نبيّ الأمّة وعنوان الرّحمة وجامع الكلمة على التقوى بالحكمة والموعظة الحسنة...

إليك أيّها البشير النذير السّراج المنير.. يا أعظم إنسانٍ متصلٍ بعظمة الله المتعال الكبير...

يا محمّد.. أهديك هذا الكتاب المتواضع نصرةً لمن آواك وأيّدك وآزَرَك ونَصَرَك.. عمّك المظلوم أبي طالب (أعلى الله درجاته)...

راجيًا منك قبول هذه الهديّة وسائلًا من الله الثبات على الهداية ولذريّتي ولمن يقرأ كتابي هذا ويعمل بالمطلوب منه.

[عبدالعظيم]

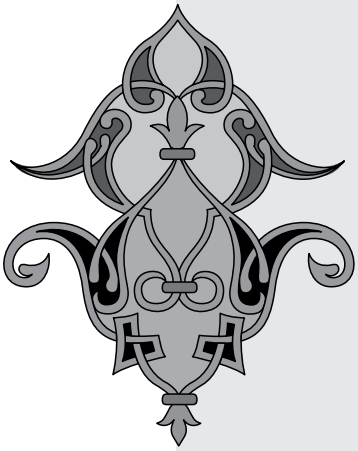

شعار المؤلف

«الكِتابُ الجيّد تقرأه مــرّة.. وتتحدّث عنه مــرّات وتعمل به طول الحياة».

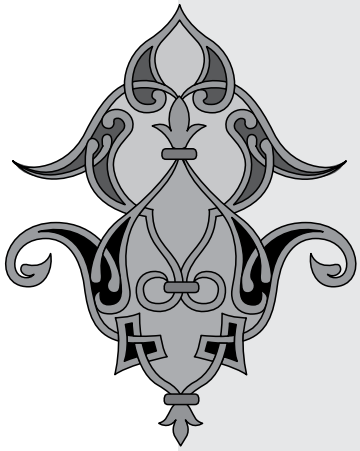

المقدّمة:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ.. وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ.. فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ.. وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ.. وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ.. وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ.. وَنُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ.. وَفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ.. وَلُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ.. وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ.. وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ.. وَعِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ.. وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ.. وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ.. وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ.. وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ... [١]

اَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ فِي الأَوَّلين.. وَصَلِّ وسلِّم عَلَى مُحَمَّدٍ وَآل مُحَمَّدٍ فِي الآخِرين. وَصَلِّ وسلِّم عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وبعد:

هـذا بحثٌ يهـدف إلى بلـورة الملامح الإيمانيّـة في شـخصيّة أبي طالب ومواقفـه المبدئيّـة.. ذلـك المؤمـن الـوفيّ لوصيّـة أبيـه عبـد المطلب سـيّد قريـش؛ حيـث أحسـن كفالـةَ ابـن أخيه محمّد بـن عبـدالله ﷺ وحمى هذه الأمانـة الغاليـة بـكلّ صـدقٍ وإخـلاصٍ ونباهـة سـاعيًا إلى إقنـاع الناس في مكّـة برسـالة الإسـلام التـي جاء بهـا الرسـول الأعظم ﷺ.

أبـو طالـب.. رجـل المرحلـة الصعبـة قبـل إعـلان النبـيّ ﷺ دعوتـه الصادقـة، ومـن بعـد إعـلان الدعـوة قـد اشـتدّ تصلُّبُـهُ في اسـتقامته الجهاديّـة حتّـى نال بهـا مقامًا محمـودًا عند الله تعالى بشـهادة رسـول ربّ العالمـين ﷺ وأئمـة الهُـدىٰ عليهم السلام وكبـار الصحابـة الأجـلّاء والمؤرّخـين المنصفـين.

قبسـاتٌ مـن ملامـح هـذا الرجـل المؤمـن العظيـم في آرائـه الايمانيّـة ومواقفـه المبدئيّـة هـي موضـوع هذا البحـث الـذي كـتبتُه تلبيـةً لدعوةٍ كريمـةٍ تلقّيتُهـا مـن "المجمـع العالمـي لأهـل البيـت عليهم السلام في حـوزة قـم المقدّسـة" والقائـه عـبر برنامـج (zoom) في (المؤتمر الـدولي لأبي طالب حامـي الرسـول الأعظـم ﷺ في مدينـة قـم المقدّسـة، وهـو بحـثٌ يقـوم عـلى مقدَّمـةٍ ومدخـل وأربعـةِ فصـولٍ وخاتمـةٍ بثمانيـة توصيات.

أسأل اللهَ العليَّ القدير أن أكون قد وُفِّقتُ فيه بما ينفع العباد أينما كانوا من مساحات الأزمنة وساحات الأمكنة، راجيًا منه عزّ وجل أن يتقبّله منّي بقبولٍ حَسَن إنه وليّ التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق.. طريق محمَّد المصطفى وأوصيائه من أهل بيته خير الورىٰ (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين).

الملتمس لصالح دعواتكم.. داعيكم:

عبدالعظيم المهتدي البحراني

٨/ رجب الأصبّ/ ١٤٤٢

٢١/ ٢/ ٢٠٢١

- **مدخل البحث:**

نبـيّن فيـه أهـمّ سِـمَاتِ أبي طالـب عليه السلام الشـخصيّة، ثُـمَّ أبرز سِـمَاتِ زمَانِـهِ لنتعـرّف عـلى شـخصية هـذا الرجـل الربّـاني وقدرتـه عـلى إدارة الـصراع في أصعـب مرحلـة زمنيّـة مرّتْ بهـا الدعـوة الإسـلامية المباركة حيـث اسـتخدم فيهـا مبـدأ التقيّـة تـارةً والجهـر بالحقيقـة تـارةً أخرى.. فنقول:

أوّلًا: مَن هو أبو طالب؟ وما هي سماته الشخصيّة:

» **اسـمه**: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشـم بن عبد مناف.

» **تاريـخ ولادتـه**: العـام (٥٤٩ للميـلاد) أي قبـل ولادة نبـيّ الاسـلام محمَّـد بـن عبـدالله بــ (٣٥) عامًـا.

» **كُـنيته**: أبو طالب.

» **ألقابـه**: كثـيرة، أهمّهـا: شـيخ الأبطـح، سـيّد البطحـاء، رئيـس مكّــة، بيضـة البلـد، شـيخ قريـش، حليـم البطحـاء.

» **مكانتـه**: كان وجيهًـا مـن وجهـاء مكّــة وهـو سـيّد عشـيرته بني هاشم.

» **منصبه**: ضيافة حجّاج بيت الله الحرام وسقايتهم ورعاية شئون المسجد الحرام والكعبة المشرَّفة.

» **دينه**: كان من الموحِّدين على منهاج الشريعة الحنيفيّة لجدّه النبيّ إبراهيم الخليل عليه السلام، ومنها دخل الإسلام كما بيّنه من خلال أشعاره والأدلة التي سنسوق في هذا البحث.

» **آثاره الأدبيّة**: تُناهِز أشعارُه الألف بيت، جُمِعَتْ في ديوان مطبوع باسم (ديوان أبي طالب) ونافستْ بعضُها القصائد العربية في وزنها وعمقها ورنينها السحري وإيقاعها الجذّاب.

» **أحكامه**: كان أَوَّل مَن سَنّ القَسَامَةَ -بالفتح: وهي الأيْمان لتُقسَم بها على أولياء الدم- وذلك في دم عمرو بن علقمة، ثم أثبتها الإسلام في حكم الدّية والقصاص. ومن أحكامه تحريمه الخمر على نفسه في الجاهليّة.. فكان كأبيه عبد المطلب ممن يجتنبون شربه. ومن أحكامه نهيه عن وأد البنات، وعن طواف الناس حول الكعبة عرايا، وذلك خلافًا لِما كان يريده قادة الجاهليّة.

» **عمله**: كان يحترف التجارة، يشتري العطور والقمح، ويبيعهما.

» **أبرز خصاله**: كان نَبْعة الخير والكهف الحصين، فإليه كان يلجأ المستضعفُ المضام وبه يتوسّلون حين ينقطع من السماء

غيثُها، وهو الوَصُول للرّحم، الكشّاف للكُروب، البَرّ الرّحيم، الجواد بما يملك من غير مِنّة، والسَّمِح بلا طَلَب، قويّ الارادة، جميل الطلعة، مَهوب الجانب موهوب الاحترام، فصيح الكلام.

وقيل في سخائه وكرمه أنَّ قريشًا كانت تطعم، فإذا أطعم أبو طالب لم يُطعِم يومئذٍ أحدٌ غيرُه.

كان سيّدًا شريفًا مُطاعًا مَهيبًا ومهابًا رغم فقره. وقد روي عن ابنه علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: (سَادَ أَبِي فَقَيرًا، ومَا سَادَ فَقَيرٌ قَبْلَه) .

لعلّ الفقر الذي عناه الإمام عليه السلام هو عدم تناسب مدخول أبيه رحمه الله المالي مع مصروفه العائلي والوجاهي.

نعم.. ونجاحه في هذا التحدّي دليل جدارته في استبدال أزمة الضيق المالي إلى فرصة الإنجاز والسيادة. بينما المعروف هو أنَّ السيادة تأتي لمن ماله كثير وخاصةً في الوسط العربي لقبائل الجزيرة العربية.

لذلك كلّه كانت قريش تلقِّبه بـ (الشيخ) لعلوّ مقامه وسموّ منزلته عندها.

» **زوجته**: هي فاطمة بنت أسد بن هاشم، تلتقي في سلسلة النّسب مع زوجها أبي طالب في جدّهما هاشم، ولم يذكر التاريخ له مِن الزوجات سواها، لأن فاطمة بنت أسد كانت من فضليات الهاشميات ، بزغتْ في عصرها شمسًا في سماء الكمال من الشرف والحسب ومعالي الأخلاق وذكاء القلب وطهارة النفس وجمال الذات، ولذلك اختارها سيّد قريش زوجةً له ولم يستبدل سواها مدّة حياته السعيدة معها وهي ابنة عمّه، فكانت أمًّا لوليّ الله علي بن أبي طالب وأخذتْ ترعى رسول الله محمّد بن عبدالله أعظم رجل شهدتْه البشريّة في تاريخ السابقين واللاحقين.

كانتْ فاطمة بنت أسد من الموحِّدات على الديانة الابراهيميّة وأسلمتْ بعد عشرةٍ من المسلمين، فكانت الحادية عشرة في السبق الى الإسلام.

» **وفاته**: توفّي أبو طالب (أعلى الله درجاته) في (٢٦) من شهر رجب على أصحّ الأقوال وأشهرها في عام الحزن بعد البعثة النبويّة الشريفة بعشر سنوات، أي في العام (٦١٩) للميلاد، وذلك بعد وفاة السيّدة خديجة أمّ المؤمنين (أعلى الله درجاتها) بثلاثة أيام وقبل سنة واحدة وله من العمر ستٌّ وثمانون سنة، وقيل تسعون سنة.

» **مدفنه:** دُفِنَ أبو طالب رضي الله عنه في مقبرة الحُجُون بمكّة المكرّمة.

وهكذا قد اجتمعتْ فيه من الخصال النبيلة ما لم تجتمع في رجل عاش بين عتاة قريشٍ وجاهلية العرب. إنه الشخصيّة الفذّة الذي تجلّتْ فيه صفاتٌ حقّة قد أهّلَتْه للتَّزَعُّم من غير مال وشراء للذّمم والاضطهاد وتركيع المضطهد.

ويدلّنا قولُ أخيه العباس بن عبد المطلب على هذه المكانة العظيمة في قريش عمومًا وفي عشيرته خصوصًا حينما قال: "ننتظر رأي الشيخ أبي طالب، فنحن في تَرَقُّبٍ ومتى استظهرنا رأيَه تابعناه، وما كان لأيٍّ منّا أنْ يتخلّف أبدًا".[٢]

ثانيًا: أهمّ سمات مرحلته الزمنيّة الصعبة:

لا تتحقّق المعرفةُ الكاملة بالمساعي العظيمة لأبي طالب عليه السلام في دفاعه عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ما لم نتحقّق من تاريخ الجاهلية التي تقابلتْ مع الاسلام في بداية البعثة النبويّة الشريفة، فلمعرفة الجاهلية نبدأ:

- **من القرآن الكريم:**

فقد أطلق كتاب الله العزيز كلمة (الجاهلية) في أربع آياتٍ:

١- ﴿يَظُنُّوْنَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاْهِلِيَّةِ﴾ [٣]

٢- ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فِي قُلُوْبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاْهِلِيَّةِ﴾. [٤]

٣- ﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاْهِلِيَّةِ الأُوْلَىْ﴾. [٥]

٤- ﴿أَفَحُكْمَ الجَاْهِلِيَّةِ يَبْغُوْنَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُّوْقِنُوْنَ﴾. [٦]

وفيها استنكارٌ صريح على ما كان يُمارَس في زمن الجاهلية من العنجهيّة والغطرسة والعصبيّة القَبَليّة، وما كان عليه الجاهليّون من العادات السيّئة والسلوك المتوحّش كالثأر والوثنيّة وكالسَّفَه والعداوات وسفك الدماء.

وفي غير هذه الآيات آيات كثيرة بيّنتْ سمات الجاهلية دون لفظها؛ بدءًا من شرك الجاهليّين بالله وعبادتهم الأصنام والأوثان واعتقادهم بالمفاهيم الضالّة حول الشرائع السماويّة، مرورًا باستبدادهم السياسي وظلمهم الطبقي واحتكارهم التجاري وفسادهم الأخلاقي، انتهاءً بسفكهم للدماء قتلًا وفتكًا وإشعالًا للحروب القِبَليّة الطويلة.

وأمّا عار الجاهلية في وأد البنات ودفنهن أحياءً منذ الأيام الأولى من ولادتهن فهو من أكبر الجرائم المُقرِفة التي وثّقها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾.[٧]

سنعرف هذا التقابل بين الجاهلية والإسلام على نحوٍ أدق عندما نعي الفرق بين مفهوم الجهل ومفهوم الجاهلية. صحيح أنّ كلمة (الجاهلية) أُشتُقّتْ من (الجهل)، ولكنها لا تعني الجهل الذي يقابل العلم؛ لأن الجاهلية أعمّ من الجهل بل هي الجهل في جميع أنماطه الثلاثة التي ذكرها الراغب الأصفهاني في استنباطه اللغويّ من تلك الشواهد القرآنيّة حيث يقول: "الجهلُ على ثلاثةِ أضْرُب: الأوّل وهو خُلُوّ النّفس مِن العلم، وهذا هو الأصل. والثاني اعتقادُ الشيء بخلافِ ما هو عليه. والثالث فِعْلُ الشرّ بخلافِ ما حقّه أنْ يُفعَل، سواءً اعتقدَ فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً".[٨]

فلفظة (جاهل) هي اسم فاعلٍ مشتقّ من مصدر الفعل المتصرّف (جهل) والياء في الجاهليّ ياء النسبة، وصيغة فاعل واضحة الدلالة. أمّا بالنسبة إلى الجاهليّ والجاهليّة فإطلاقها يكون على فعل المجتمع، فيُنسَب ذو السلوك الخاص إلى ذاك المجتمع، فيُقال فلانٌ سلوكه جاهليّ، لا هو جاهليّ بل هو جاهل. وها هي الدلالة واحدة لتلك

الآيات الأربع، لذلك يأتي اسم الجاهليّة مضاف إليه، أي أنَّها مُعرِّفة لما قبلها.

بكلمةٍ مختصرة: الجاهليُّ مجتمع يفعل الجهلَ في عموم سلوكه، ولذلك قال الله تعالى: ظَنّ الجاهليّة.. حميّة الجاهليّة.. حكم الجاهليّة.. تبرّج الجاهليّة. أي أنَّه: ظنٌّ خاص، وحكم خاص، وحميّة خاصة، وتبرّج خاص. وكلُّها متميّزة بكونها من مصوغات مَن يفعل الجهل.

بناءً عليه فإنّ الجاهلية هي مجموعة أفكار وأفعال تقف في وجه الإسلام بمخالفة الأفكار التي أتىٰ بها والأفعال التي دعىٰ إليها. وهذا التقابل هو ما ذكرتْه الآية الكريمة السابقة: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُوْنَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُّوْقِنُوْنَ**﴾.[٩] وهو ما صرّح به الإمام علي عليه السلام في قوله: (الحُكْمُ حُكْمَان، حُكْمُ اللهِ وحُكْمُ الجَاهِليّة، فَمَن أخْطأ حُكْمَ اللهِ حَكَمَ بِحُكْمِ الجَاهِليّة).[١٠]

- **ومن روايات أهل البيت عليهم السلام حول زمن الجاهليّة:**

يقول الإمام علي عليه السلام عن تقابُل الجاهليّة وبعثة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: (بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الأَهْوَاءُ، وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الكِبْرِيَاءُ، وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الجَهْلَاءُ، حَيَارَى

فِي زَلْـزَالٍ مِـنَ الأَمْـرِ وَبَـلَاءٍ مِـنَ الجَهْـلِ، فَبَالَـغَ ﷺ فِي النَّصِيحَـةِ وَمَضَى عَـلَى الطَّرِيقَةِ وَدَعَـا إِلَى الحِكْمَـةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَـنَةِ).[١١]

ويقـول واصفًـا هـذا التقابـل وهـو يثنـي عـلى عظمـة مـا حقّقـه الرسـول الأعظـم ﷺ في دحـض الجاهليـة: (أَضَـاءَتْ بِـهِ البِـلَادُ بَعْـدَ الضَّلَالَـةِ المُظْلِمَـةِ وَالجَهَالَـةِ الغَالِبَـةِ وَالجَفْـوَةِ الجَافِيَـةِ وَالنَّاسُ يَسْـتَحِلُّونَ الحَرِيـمَ وَيَسْـتَذِلُّونَ الحَكِيـمَ يَحْيَـوْنَ عَلَى فَـتْرَةٍ وَ يَمُوتُونَ عَلَى كَـفْرَةٍ).[١٢]

وهـذه فاطمـةُ الزهـراء ابنـة محمّـد خاتـم الأنبيـاء (صلـوات الله عليهـا وعـلى أبيهـا وبعلهـا وبنيهـا) تُبـيّن لنـا جانبًـا مـن هـذا التقابـل حينـما وصفـتْ الجاهليّـة بلسـانها العـربيّ الفصيـح يـوم وقفتْ عـلى منبر أبيهـا رسـول الله في مسـجده وأخـذتْ تُذكِّـر المسـلمين بسـابق أيّامهـم وكيـف قـد أنقذهـم الرسـول الأعظـم مـن شرّ الجاهليّـة.. قائلـةً: (... ابْتَعَثَـهُ اللهُ تعـالى إِتْمَامـاً لِأَمْـرِهِ، وَعَزِيمَـةً عَـلَى إِمْضَـاءِ حُكْمِـهِ، وَإِنْفَـاذاً لِمَقَادِيـرِ حَتْمِـهِ. فَـرَأى الأُمَـمَ فِرَقـاً فِي أَدْيَانِهـا، عُـكَّـفاً عَـلَى نِيرانِهـا، عابِـدَةً لِأَوْثانِهـا، مُنْكِـرَةً لله مَـعَ عِرْفانِهـا. فَأَنـارَ اللهُ بِمُحَمَّـدٍ صـلى الله عليـه وآلـه ظُلَمَهـا، وكَشَـفَ عَـنِ القُلُـوبِ بُهَمَهـا، وَجَـلّىٰ عَـنِ الأَبْصارِ غُمَمَهـا، وَقَـامَ فِي النّـاسِ بِالهِدايَـةِ، وأنقَذَهُمْ مِـنَ الغَوايَـةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَـةِ، وهَداهُـمْ إلى الدّيـنِ القَويـمِ، وَدَعاهُـمْ إلى الطَّريـقِ المُستَقيمِ ... فَبَلَّـغَ الرِّسـالَةَ صادِعـاً بِالنِّـذارَةِ، مائِـلاً عَـنْ مَدْرَجَـةِ المُشْرِكِـينَ، ضارِبـاً ثَبَجَهُـمْ، آخِـذاً بِأَكْـظامِهِمْ، داعِيـاً إلى سَـبيلِ رَبِّـهِ بِالحِكْمَـةِ وَالمَوْعِظَـةِ

الحَسَنةِ، يَكْسِرُ الأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الهامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الجَمْعُ وَوَلُّوا الدُّبُرَ، حَتّى تَفَرَّىٰ اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدّينِ، وَخَرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطينِ، وَطاحَ وَشيظُ النِّفاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الكُفْرِ وَالشِّقاقِ، وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الإِخْلاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ البيضِ الخِماصِ، وَكُنْتُمْ عَلى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ، مُذْقَةَ الشّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقُبْسَةَ العَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ الوَرَقَ، أذِلَّةً خاسِئِينَ، ﴿**تَخافُونَ أنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ**﴾. فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صَلى الله عليه وآله بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي ...).[١٣]

• ومن أقوال علماء السنّة والشيعة عن الجاهليّة قبل الإسلام:

ا- رأي أهل السنّة:

جاء في موقع (الإسلام سؤال وجواب) بإشراف الشيخ محمد صالح المنجد، السؤال رقم (١٥٤٥٧٣): كيف كانت الحياة في (الجزيرة العربية) قبل مجيء الإسلام إليها؟

الجواب -مع تعديلٍ طفيف منّا في الترتيب-: "... يتمثّل السّوء الذي وُجِدَ في الجزيرة العربية قبل الإسلام في مظاهر كثيرة، لا نستطيع حصرها في هذا الجواب لكثرتها، ولا يمنع هذا أن نذكر أبرز تلك المظاهر، ومنها:

أ- في جانب العقيدة:

- كان العرب يعبدون الأصنام، ويتقرّبون لها، ويذبحون عندها، ويعظّمونها التعظيم كلّه، وهي من صُنْع أناسٍ مثلهم من البشر، وأحيانًا تكون من صُنْع أيديهم، من التّمر أو الطّين أو غيرها، وكان عدد الأصنام التي حول الكعبة المشرَّفة حوالي (٣٦٠) صنمًا. قال تعالى واصفًا أولئك الجاهليّين: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ**﴾ يونس/ ١٨.

- كانوا يتطيّرون: فإذا أراد أحدُهم زواجًا أو سفرًا أو تجارة ألقى طَيْرًا في السماء، فإنْ ذَهَب يمينًا مضى في أمره واعتقد فيه الخير والنفع، وإنْ ذَهَب الطّيرُ شمالاً أحْجَم عن أمره وتَرَك المُضيَّ فيه واعتقد فيه الشرَّ!

- كانوا يتشاءمون: فإذا سمع أحدُهم صوتَ بومة، أو رأى غُرابًا ضاق صدرُه، واعتقد أنه سيُصيبُه ضررٌ أو أذى في يومه، وكانوا لا يتزوّجون في شوّال اعتقادًا منهم بأنه لن يُكتَب له النجاح.

ب- في جانب الولاء السياسي:

كان ولاء أهل الجزيرة العربية يتوزّع على القوى العظمى في زمانهم، فبعضُهم ولاؤه للروم، وآخرون للفرس، وثالثٌ للحبشة.

ج- في جانب الأخلاق والسلوك والعادات:

- كان العرب في الجاهلية يغزو بعضهم بعضًا، ويقتل بعضهم بعضًا لأتفه الأسباب، وتطول الحروب بينهم لأعوامٍ عديدة، فيُقتَل الرجال، وتُسبى النساء والأطفال. ومن ذلك: (حرب البسوس) وقد دامتْ ثلاثين سنة بسبب أنّ ناقةً وطئتْ بَيْضة (قُبَّرة) - نوع من أنواع الطيور - فكسرتْها! ومنها: (حرب داحس والغبراء)، وقد دامتْ أربعين سنة بسبب أنّ فرسًا غَلبتْ أخرى في الجَرْي.

- كانوا لا يتنزّهون عن الخبائث، ومنها أنهم كانوا يأكلون الميتة، ويشربون الدم.

- كان غير القرشيّن يطوفون بالكعبة عُراةً نساءً ورجالاً إنْ لم يَمُنّ عليهم القرشيّون بثيابٍ من عندهم، ويعتقدون أنّ ثيابًا عُصِيَ الله فيها لا تصلح أن يُطاف بها، وتقول قائلتُهم: اليوم يبدو بعضه أو كلُّه وما بدا منه فلا أحلُّه!

- كان الزّنا منتشرًا بينهم، وكذا آثارُه، ومِن أعظمها نسبة الولد لغير الزوج.

- كانوا يقتلون أولادَهم بسبب ما هم فيه مِن فقر، وبسبب خوفهم مِن الوقوع في الفقر، وكان بعضُهم يدفنون بناتهم خشية وقوعهن في الأسْر وجَلْب العار لهم، قال تعالى: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**﴾ الأنعام/ ١٥١، وقال تعالى: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً**﴾ الإسراء/ ٣١، وقال عزّ وجل: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ النحل/ ٥٨ - ٥٩

- كان عندهم الفخر بالآباء والنسب، حتى إنهم لَيذكرون آباءَهم ويفتخرون بهم في موسم الحج وأثناء إقامة شعائره.

- كانوا يتعاملون بالرّبا، على أشكالٍ وأصنافٍ وصورٍ متنوّعة. وقد أجمل جعفر بن أبي طالب ﷺ حالهم في الجاهلية فقال أمام النجاشي ملك الحبشة لما هاجر إليها: "كنَّا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منّا الضعيف".

د- المرأة في الجاهلية:

تعرّضتْ المرأة لأبشع صنوف العذاب والإهانة والتحقير في الجاهليّة، ويتمثّل ذلك في صورٍ كثيرة -وهذا غير الوأد الذي ذكرناه من بعض أفعال العرب:

- كانت المرأة تُحرَم من الميراث مُطْلَقًا، فلا نصيب لها فيما يتركه ولدُها أو والدُها أو أمُّها مِن مال ولو عَظُمَ، بل كانوا يعاملونها على أنها سُلْعة تورث! إلى ذلك أشارت هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً**﴾ النساء/ ١٩.
- كانوا يجبرونهن على الزواج بمن يَكْرَهْن، أو يمنعونهن من الزواج.
- كان الأزواج يعلّقون أمرَ زوجاتِهم، فلا هي زوجة له ولا هي تستطيع الزواج بغيره، ومن ذلك: أنه كان يُحرِّمها على نفسه

ويجعلها كأمّه أو أخته أو يحلف أن لا يجامعها، فتصير مُعلَّقة، فجاء الإسلام بتحريم الظِّهار وبوضع أمَدٍ لِمن أقْسَم أن لا يجامع زوجته، وجعل ذلك إلى أربعة أشهر، فإمّا أن يُكفِّر عن يمينه ويجامعها، أو يُجبَر على تطليقها، وهو ما يُسمَّى (الإيلاء) المذكور في قوله تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ البقرة/ ٢٢٦ - ٢٢٧.[١٤]

٢- رأي الشيعة:

يقول العلّامة السيّد محمد حسين الطباطبائي (قدّس سرّه): "القرآن يُسمّي عهد العرب المتصل بظهور الإسلام بالجاهلية، وليس إلا إشارةً منه إلى أنّ الحاكم فيهم يومئذٍ الجهلُ دون العلم، والمُسيطِر عليهم في كلّ شيءٍ الباطل وسفر الرأي دون الحقّ، وكذلك كانوا على ما يقصّه القرآنُ من شؤونهم".[١٥]

وكتب سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدّين عليه السلام في وصف التقابل بين الجاهلية والاسلام: "إنّ الجاهلية في حقيقتها اسمٌ للضلال والانحراف عن العقلانيّة الصحيحة والمناهج المستقيمة، وهي صفةٌ لِعالَمِ ما قبل الإسلام كلّه بما فيه من عربٍ وغيرهم، وهي أيضًا

صفةٌ للمبادئ والمُثُل التي تَعْثَرُ بها المادّيةُ المعاصرة على اختلاف مظاهرها وأشكالها".[١٦]

نعم، هذه أهمّ سمات الجاهليّة التي واجَهَها أبو طالب رَحِمَهُ اللهُ بكل شجاعةٍ وحكمةٍ وشيءٍ من التقيّة الذكيّة في ظلّ تَوكُّله على الله تبارك وتعالى. فهي -كما لا يخفى- كانت مرحلةً زمنيّةً صعبةً بالغةَ التعقيد والتحدّيات ولكنّه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد تَعامَل معها بجدارةٍ وتَفوُّقٍ وامتياز.. ولم يكن أحدٌ مؤهَّلًا لخوض صراعات ذلك الزمن الصعب إلا أبو طالب رجلُ المرحلة والعناء.. رجلُ النُّصرة والوفاء.. رجلُ التضحية والفداء!!

في مثل هذا المحيط الوَعِر يُعرَف الرجل ودرجة كفائته كما قال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَفِي تَقَلُّبِ الأَحْوَالِ عُلِمَ جَوَاهِرُ الرِّجَالِ، وَالأَيَّامُ تُوضِحُ لَكَ السَّرَائِرَ الكَامِنَةَ... وَ مَنْ عُرِفَ بِالحِكْمَةِ لَحَظَتْهُ العُيُونُ بِالوَقَارِ وَ الهَيْبَةِ).[١٧]

الفصل الأوّل

نؤصّل فيه لمسألة الإسـناد والتصديق من خلال:

١- القرآن الكريم.

٢- السنّة الشريفة.

٣- القاعـدة الأصولية في المقدّمة الوجوديّة.

- **التمهيد:**

ماذا نعني من مسألة الإسناد والتصديق؟

هي ما يدّخره الله تعالى لدعوة الأنبياء والرسل وحركة المجتمعات والأمم بمواقف رجالٍ صدّيقين وصادقين ذوي سمعةٍ طيّبة في الناس وغير معروفين باتجاهٍ خاص ما عدا اتجاه الصلاح والخير والزهد عمّا في أيدي الناس، فيُخرِجهم الله غالبًا في ساعةٍ قدّرها لهم لمهمّة الإسناد والنصيحة وإتمام الحجّة دعمًا لأنبيائه وتصديقًا لرسله عند بداية إعلان دعوتهم.

دور هؤلاء الرجال أنهم يسندون ويساندون ويؤيدون ويدافعون ويشجّعون الناس على الاستجابة للدعوة والقبول بالنداء السماويّ الجديد، ويسمّى هذا الدور بالتصديق كما في آيات كثيرة.. ومنها: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾.[١٨]

فهم رجال الإسناد المُدّخَرون لدور التصديق تحديدًا. وكان أبو طالب عليه السلام من هؤلاء الرجال؛ إذ مارَسَ وبامتيازٍ كبير دور الإسناد لخاتم الأنبياء محمّدٍ صلى الله عليه وآله في تلك المرحلة الزمنيّة الصعبة التي أسلفنا

بيان حيثيّاتها الجاهليّة، فكان مُقدَّرًا له من الله تبارك وتعالى أن يكون في ذلك الموقع بما اختصّه الله من صفاتٍ خاصة ومؤهّلات ممتازة جعلتْ منه رجل الإسناد للرسول والتصديق للرسالة.

فما هو الدليل النقلي والعقلي على اعتقادنا هذا؟

- **الدليل النقلي.. من القرآن الكريم:**

١/ قال الله تعالى: ﴿**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ *اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾[١٩]

تدعم هذه الآية الكريمة تلك الحقيقة التاريخيّة، أعني مسألة الإسناد الذي يرقى إلى مستوى السُنّة من السُنَن الإلهيّة في الحياة؛ سُنّة ادّخار الله جلّ عُلاه رجالًا صدّيقين يُلهِمُهم الخروجَ العلني في منعطفات التاريخ لِيَنهَضوا بمهمّة الدّعم والإسناد والتصديق لأيّ رسولٍ من الرسل أو نبيٍّ من الأنبياء أو وصيٍّ من الأوصياء أو وليٍّ من الأولياء عندما يبدأ هؤلاء مهامَّهم السماويّة في غربةِ المواجهة وقلّةِ ناصرين.

تتحدّث هذه الآيةُ الكريمة عن الصدّيق الشهيد حبيب النجّار الشخصيّة الايمانيّة الذي قام بمهمة الإسناد لثلاثةٍ من حواريي النبيّ عيسى بن مريم عليه السلام الذين جاؤوا إلى مدينة أنطاكية، وهي اليوم تقع في تركيا على حدود سوريا (بمسافة ١٠٠ كيلو متر من مدينة حلب تقريبًا) وقريبة من ميناء الاسكندريّة على البحر الأبيض (بمسافة (٦٠) كيلو متر تقريبًا) وقد كانت من مدن الروم القديمة. مدينة يحترمها المسيحيّون لأن "بولس" و "برنابا" و آخرين من قدّيسيهم مرّوا عليها.[٢٠]

وثّقتْ هذه الآية موقف حبيب النجّار الذي قام بدور الإسناد لأولئك الحواريّين القادمين للتبليغ الديني في أنطاكية، والآية تُعلِّم المسلمين وجوبَ إسناد الصالحين وإتمام الحجّة على الفاسدين وتنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين مِن جهة ومِن جهةٍ أخرى ليتذكّروا دائمًا مَن يشبهوا حبيب النجّار في هذا الإسناد، ألا وهم الذين كفلوا النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا خير حامٍ له وخير ناصر.. هم جدّه عبدالمطلب وعمّه أبو طالب عليه السلام وابن عمّه علي بن أبي طالب وعمّه الآخر حمزة وأمثالهم.

بالمقارنة بين مكانة نبيّنا الكريم وإسناده وبين مكانة النبيّ عيسى وإسناد رسله نكتشف كم أنّ مكانة أبي طالب تحديدًا كانت أعظم بكثير من مكانة حبيب النجّار.

نتدبّر هنا ببعض الأسطر في الآيات التي روتْ قصّة هذا الرجل المجاهد (حبيب النجّار) ومنها سنعرف أكثر القيمةَ المعنويّة والمصداقيّةَ العمليّة لأبي طالب (رضوان الله عليه):

كان حبيب النجّار مؤمن آل ياسين يتعبّد في خارج مدينة أنطاكية، فلمّا وصله خبر الرسل وأنّ أهالي المدينة رفضوهم وأنّ الحاكم الجائر سَجَنَهم رجع إلى المدينة وأظهَرَ ايمانه بدين المسيح عيسى عليه السلام ليحثّهم نحو تصديق حواريّه عليه السلام بعد أن كان يخفي ايمانه عليهم فترة سنوات. فخاطبهم.. ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ**﴾.. ثم بيّن لهم أن هؤلاء الرسل ليست غايتهم مكاسب مادّية وراء دعوتهم: ﴿**اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً**﴾ مقابل النُّصح لكم وتبليغ الرسالة الالهيّة ﴿**وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ الى الخير بأنفسهم ويريدون لكم الهداية فقط لا غير.. ثم حدّثهم عن قراره الايماني كتجربة شخصيّة قائلًا: ﴿**وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي**﴾.. يعني ما الذي يمنعني من أن أعبد الله الذي خلقني ﴿**وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ للحساب ثم الثواب أو العقاب؟!

لا شيء يمنعني أبدًا. إذن فماذا يمنعكم بعدئذ؟!

ثم ينتقل حبيب النجّار في نصيحته لهم إلى أسلوب السؤال الانكاري يقارِن لهم بين عَجْز الشرك وعطاء التوحيد: ﴿**أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ -يعني من دون الله- آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَـنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ -يعني شفاعة أصنامهم ودعاتها- شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ -من عذاب الله- إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**﴾ يعني لو عبدتُ أصنامكم وأطعتُ سادتكم كما أنتم تفعلون فأنا إذن سأكون في ضلالٍ واضح ويكون مصيري العذاب.. ولكن: ﴿**إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ**﴾. فقام المشركون من قومه بِرَجْمِه حتى الموت.. فتلقّاه الله شهيدًا فأدخله الجنّة فورًا. ﴿**قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ**﴾.

وتنتقل الآيات هنا إلى حديث الغيب، فتتحدّث عن الشهيد حبيب النجّار وهو في نعيم الجنّة كيف يتمنّى لو أنّ قومه الذين قتلوه يعلمون أين استقرّتْ به النهاية: ﴿**قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ**﴾.[٢١]

هكذا خلّدتْ هذه الآيات نصيحته لقومه في السرّ والعلانية، وقد حَمَلَ هَمّ الدعوة لهم حيّاً وميّتاً.. لأنه كان يريد لهم الهداية والنجاة وهم يريدون له شيئًا آخر.. فلمّا رفض عاندوه ثم كادوه ثم قتلوه. وكذلك يفعل المعاندون بالصالحين في كلّ مكان والمصلحين في كلّ زمان.

٢/ قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.[٢٢]

مثل قصة حبيب النجّار قصة مؤمن آل فرعون.. وهو الآخر كان رجل الاسناد للنبيّ موسى بن عمران عليه السلام.. قيل هو حزقيل وقيل هو المسئول المالي في قصر فرعون وقيل هو أحد أقاربه. المهم في الأمر أنه أنقذ حياة النبي موسى عليه السلام مثلما أنقذتْه آسية بنت مزاحم زوجة فرعون التي اتخذتْه ولدًا لها يوم كان فرعون يذبح الأطفال المواليد ليقضي على الموعود قبل أن يقضي على مُلْكِه. ثم كانت داعمةً لموسى عليه السلام بطريقتها الإسنادية الخاصة حتى بلغ.

والآية هنا صريحة في مسألة الدعم والإسناد والتأييد والتصديق بعد مرحلة السرّية والكتمان والتي هي ما نسمّيه بالتقيّة.

بهذا التأصيل القرآني لمسألة الإسناد وسُنّة التصديق في تاريخ الانبياء والرسل والأوصياء والصالحين تسهل علينا المقارنة المشروعة بين مؤمن آل ياسين (حبيب النجّار) ومؤمن آل فرعون (حزقيل) وبين مؤمن قريش (أبي طالب) الّذي آمَنَ بصِدْقِ دعوة نبيّ الاسلام

ﷺ واستثمر وِجاهَتَه التقليديّة بين العرب قبل الاسلام من أجل دعمه وإسناده وتصديقه في وجه مشركي مكّة المستكبرين.

هكذا يكون الإسناد في تصديق الأنبياء ونصرة الرسل على يد رجالٍ ﴿**صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾[٢٣] جزءًا من التمهيدات الإلهيّة لظهور الشرائع وأنبيائها ورسلها.

وعند المزيد من التدبّر في آيات الإسناد نصل إلى بعض خصائص هؤلاء الرجال الصادقين.. أهمّها خصيصتان نُلفتُ اليهما انتباهَ القرّاء الكرام:

» الخصيصة الأولى: إنهم يعملون في السرّ إلى أن يلهمَهم اللهُ وقتَ الإسناد العلني لرسولٍ أو نبيٍّ أو وصيٍّ أو وليّ، وهم في هذا المنعطف من تاريخ حياتهم سيكونون رجال المرحلة في إتمام الحجّة وإكمال الشهادة على الحدث لمناصرة الحقّ في غربته. ولهؤلاء قيمتهم المُثْلىٰ ومكانتهم العُلْيا.

» الخصيصة الثانية: إنّهم بهذا الدور في تلك المرحلة الصعبة يكشفون عن الإخلاص الحقيقي الذي يسكن قلوبهم المتعلّقة بعالَم الايمان والعقيدة. ذلك عندما يتجلّى إخلاصُهم هذا في أنّ الزمن الذي يخرجون إلى دور الإسناد لم تكن الغنائم الدنيويّة

فيه يلمع بريقُها، فلن يكون شك في إخلاصهم أنهم لله قاموا بما قاموا اليه.. إذ ليس هنالك ما يُغريهم كما يُغري الذين يلتحقون بالمنتصرين والفاتحين بعد مرحلة النصر والفتح. ومن أجل ذلك قال الله تعالى: ﴿**لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾.[٢٤]

إننا نرى صورة أبي طالب عليه السلام بين صور هؤلاء الرجال تشعّ نورًا ويُدخله في عِداد الصحابة الأجلاء المتقدّمين الأوائل.. وقد قال ربّنا تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾.[٢٥]

هذه الآية أليست تشمل نصرة أبي طالب (طاب ثراه) لابن أخيه محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله ليكون صحابيًّا جليلًا ممن أنفق قبل الفتح وجهّز رجالًا من أسرته ومن غير أسرته لمجاهدة مناوئي الاسلام العظيم وحماية قائده النبيّ المختار محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله؟! بلىٰ وكأنّها قد عنتْه مثلما عنتْ أباه عبد المطلب رضي الله عنه من قبل وعنتْ ابنه عليًّا عليه السلام من بعد. فأبو طالب هو في طليعة الذين قال الله عزّ وجل فيهم: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا**

عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[٢٦] وأبو طالب في يوم القيامة ممن تشمله هذه الآية أيضًا: **﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾**.[٢٧]

ما أحوج المسلمين إلى أن يستلهموا دروس الصدق والإخلاص من تضحيات هؤلاء الرجال الصادقين المخلصين كيف كانوا في امتحانات المرحلة الصعبة مِن زمن الغربة.

- **الدليل النقلي.. من السنّة الشريفة:**

روى ابن عباس عن النبيّ ﷺ أنه قال: (الصِّدِّيقُونَ ثَلاَثَةٌ: حَبِيبٌ النَّجَّارُ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ آلِ يَس، وَ حِزْقِيلُ وَ هُوَ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ، وَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ هُوَ أفْضَلُهُم).[٢٨]

عليٌّ هذا هو ابن أبي طالب عليه السلام وقد قام بدور الإسناد والتصديق برسول الله ﷺ في بداية صباه حينما كان أوّل المسلمين رجالًا في العلن، وكان ذلك بِحَثٍّ ظاهريّ وتشجيعٍ جَهْريّ من

أبيه أبي طالب الكافل لمحمد بن عبدالله ﷺ والحامي له.. فكان عليٌّ عليه السلام خير خَلَفٍ لخير سَلَف وأكثر.

وواصل الإمام عليّ عليه السلام درب أبيه مُخَلِّدًا اسم "أبي طالب" في الإسناد والتصديق حتى شهد له رسول الله ﷺ بأنّه أفضل من الصدّيق حبيب النجار والصدّيق حزقيل.. ولعلّ اشتهاره باسم ابن "أبي طالب" وليس ابن عبد مناف واحدة من غاياته إبقاء إسم أبي طالب في الذاكرة!!

وفي هذا المغزىٰ تمريغٌ لأنوف الحاقدين عليه وعلى أبيه في التراب!!

فالحديث النبويّ الشريف المطروح للبحث قد صرّح فيه النبيّ محمد ﷺ باسم حبيب النجّار وحزقيل وعليّ بن أبي طالب كرجال الاسناد بدرجة الصدّيقين ما يؤكد لنا ضرورة الوجود الاسنادي لكل نبيّ ورسول ووصيّ وناصح في حياة البشر. والروايات في هذا السياق حول مَن عاشوا مساندين لأنبياء الله ورسله كثيرة والتي حَوَتْ قصصهم في الوفاء والشجاعة والإباء والحكمة.

ولكنّ السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا لم يذكر رسول الله ﷺ في الرواية المذكورة بعد حبيب النجار وحزقيل عمّه أبا طالب كرجلٍ ثالثٍ في سياق الاسناد والتصديق وذَكَرَ ابنه عليّ بن أبي طالب؟

نُحيلُ الجواب إلى الفصول القادمة والروايات التي سنذكرها عن النبيّ الأكرم والأئمة المكرمين (عليه وعليهم الصلاة والسلام) كقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (وإنّ أبا طالب كمؤمن آل فِرعون، يكتم إيمانه)[٢٩] والنصوص التاريخية التي سنستعرضها تِباعًا بإذن الله. أمّا هنا فللإجابة على هذا السؤال نشير الى ما يلي:

» أوّلًا: ليس هذا الحديث النبويّ الشريف في مقام بيان حُماة الأنبياء والرسل بناءًا على مسألة الإسناد والتصديق وإنّما أراد صلى الله عليه وآله ذِكْر ثلاثة من الصدّيقين. كما أنه ليس في صدد إثبات مقام الصدّيقين لبعضٍ ونفيه عن بعض، فالحديث ليس في وارد الحصر بل يقصد عرض بعضٍ منهم وأنّ أفضلهم هو الإمام علي عليه السلام.

» ثانيًا: غرضنا من الحديث هو ما حواه عن حبيب النجّار وحزقيل باعتبارهما من رجال الإسناد ونحن في صدد تثبيت هذه المسألة في الدليل النقلي.

» ثالثًا: كفى ذِكْر عليّ عليه السلام وحمايته المستميتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه ابن أبي طالب الذي كان يوصي ابنه بهذه الحماية لابن عمّه محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله. فقد ورد أنّ أبا طالب عليه السلام كان من شدّة حرصه على النبيّ صلى الله عليه وآله يُضجِع ابنه عليّاً مكانه وقايةً له بولده وخوفاً عليه من أيّ خطر قد يتوجّه إلى النبيّ الأكرم.

فقال له عليٌّ عليه السلام ذات يومٍ وهو صبيّ آنذاك: يا أبَه إنّي لَمقتول؟ فقال له أبوه أبو طالب رحمه الله:

إصبرنّ يا بُنَيّ فالصّبرُ أحْجىٰ كلُّ حيٍّ مَصيرُه لَشعوبِ
قد بَذلْناكَ والبلاءُ شديدٌ لِفداءِ الحبيبِ وابنِ الحبيبِ
لِفداءِ الأغرِّ ذي الحَسَبِالثاقبِ والباعِ والكريمِ النجيبِ
إنْ تُصِبْكَ المَنونُ فالنُّبْلُ تَتْرىٰ فمُصيبٌ منها وغيرُ مُصيبِ
كلّ حيٍّ وإنْ تَمَلّىٰ بعمرٍ آخِذٌ مِن مَذاقِها بنصيبِ[٣٠]

ربما كان سؤال عليّ عليه السلام من أبيه إنما لِيَسمع منه هذا الجواب فيُطَمْئِن أباه أنه على نهجه في نصرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والذَّوْد عنه والتضحية دونه، وهذا ما جاء في جوابه لأبيه بقوله كما نقله ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة:

أتأمُرُني بالصّبرِ في نَصْرِ أحمدٍ ووالله ما قُلتُ الذي قلتُ جَازِعًا
ولكنّني أحْبَبْتُ أنْ تَرَ نُصْرَتي واعْلَمْ أنّي لم أزَلْ لكَ طائِعًا
سَأسْعىٰ لِوجْهِ الله فِي نَصرِ أحمدٍ نبيِّ الهُدىٰ المحمودِ طِفْلاً ويافِعًا[٣١]

ولّما قال الإمام علي عليه السلام لأبيه: (يا أبتِ آمَنتُ بِالله وبِرسُولِ الله، وصَدّقْتُه بِما جَاء بِه، وصَلّيْتُ مَعَه لله واتّبَعْتُه) قَال له أبوه (رضوان الله عليه): "أمَا إنّه لَا يَدعُوكَ إلاَّ إلَى خَيْر، فَالْزِمْه".[٣٢]

هكذا كان منهج الإعداد التربوي الذي سار عليه أبو طالب عليه السلام تجاه أولاده كي يستمرّوا في معيّة ابن أخيه النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله يجاهدون في خطّ الإسناد دون هوادة. فمن هذا البيت الميمون تَخَرَّج عليٌّ وجعفرٌ وعقيلٌ وأمُّ هانئ وغيرُهم.

- **الدليل العقلي بقاعدةٍ أصوليّة:**

وذلك بتطبيق "المقدّمة الوجوديّة" في علاقة السعي الذي بذله أبو طالب للرسول الأعظم، وهذه المقدّمة واحدة من المقدّمات الأربع التي يبحثها علم أصول الفقه [٣٣] على المختصر التالي:

الأولى: المقدّمة الوجوبيّة:

وهي كما عرّفها علماء الأصول ما يتوقف عليها وجوبُ الشيء لا وجوده، ومثالها في الشرع الاستطاعة لوجوب الحجّ، ومثل دخول وقت الزوال لوجوب صلاة الظهر.

الثانية: المقدّمة العلميّة:

وهي ما يتوقف عليها العلم بامتثال التكليف كما في الاحتياط في أطراف العلم الإجمالي بالصلاة إلى الجهات الأربع عند الاشتباه في القبلة بناءً على الرأي المشهور عند الفقهاء.

الثالثة: مقدّمة الصحّة:

وهي ما يتوقف عليها صحّة الشيء، ومثاله في الشرع شرائط الصلاة من طهارة ومن استقبال القبلة ومن ستر العورة وغيرها.

الرابعة: المقدّمة الوجوديّة:

وهي موضع الشاهد في بحثنا، وقد عرّفها علماء أصول الفقه أنّها ما يتوقف عليها وجودُ الشيء وتَحَقُّقُه خارجًا بحيث لولاها لم يتحقّق ذلك الشيء، مثلًا طيّ المسافة للوصول إلى مكّة المكرّمة وأداء مناسك الحجّ، وهل يتحقّق هذا الحجّ من دون طيّ تلك المسافة؟! كلّا.. فهذا مقدّمةٌ لذاك. ومثلًا نَصْب السُّلّم للصعود على السّطح. فهل يتحقّق الصعود من دون نَصْب السُّلّم، ولولا وجود السُّلّم واستخدامه لغرض الصعود هل كان يتحقّق الصعود؟! كلّا.. فهذا مقدّمةٌ لذاك. ومثال ثالث.. الزواج مقدّمةٌ وجوديّة للانجاب

والذُّرّيـة.. ومثـال رابـع.. الـدواء والدعـاء مـن المقدّمـات الوجوديّـة للشـفاء والهنـاء...

والآن فـما هـي علاقة هذه القاعـدة الأصولية بـدور أبي طالب عليه السلام في حيـاة النبي صلى الله عليه وآله وظهور الاسـلام؟

علاقتـه بهـا كونـه (طـاب ثـراه) جـزءًا وجوديًّـا مـن مقدّمـات ظهـور الإسـلام.. حيـث كانت الـضرورة البشريّة تقـضي برعاية الرسـول الأعظم صلى الله عليه وآله منـذ فـترة صبـاه يتيـمًا الى اليـوم الـذي بُعِـثَ فيـه نبيًّـا رسـولًا. فالـذي انطبقـتْ عليـه هـذه الآيـة الكريمـة: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾[٣٤] هـو عبدالمطلـب ثـم وصيّـه أبـو طالـب حيث قامـا بـدور الإيواء خـير قيام.

وأخـيرًا نسـتنتج هنـا أن جميـع الأدلـة النقلية قرآنيًّـا وروائيًـا والدليل العقـلي أصوليًّـا وفـق مـا اختصرناه تثبـت أنّ يـدَ الغيب الإلهي هـي التي صنعـتْ شـخصيّة أبي طالـب الإيمانيّـة لتمنحـه هـذا الـدور المُشـرِّف ويكـون له هـذا الحضـور الفاعـل في ظهـور الإسـلام العظيم.

فـكلّ شيء في هـذه المرحلـة الزمنيّـة الصعبـة إذن كان بتخطيـطٍ مُسـبَـق مـن الله وتدبـيرٍ مُـتـقَــن منـه جلّـتْ قدرتُـه، ولم تكـن عـن صُدْفــةٍ ونحـن لا نؤمـن بوجـود صُـدَفٍ في المشـاريع الإلهيّـة.

فأبـو طالـب رحمه الله هـو رجـل الإسـناد والتصديـق قرآنيًّـا.. وهـو الاختيـار الأفضـل لهـذه المهمّـة المقدّسـة روائيًّـا.. وهـو الـضرورة

الوجوديّة التي لازمتْ وجود النبيّ ومقدّمات ظهور الاسلام من وجهة نظر الأصوليّين، فكان (عليه الرحمة) المحور في صناعة الأجواء الداعمة لهذا الظهورِ المبارك وانتصار النبيّ الأكرم ﷺ على الجاهليّة المضادّة له.

الفصل الثاني

"انتقال مهمّة الحمايـة، وتقييم المواقف والنتائج"

- **التمهيد:**

» كيف انتقلتْ إليه مهمّةُ الحماية المقدّسة لنبيّ هذه الأمّة محمّد بن عبدالله ﷺ؟

» وكيف كانت مواقفه المبدئيّة في إطار إيمانه بربّ محمّد ﷺ وتصديقه بنبوّته ودفاعه عن دعوته؟

لبيان ما يتطلّبه هذان السؤالان من جواب نُقسِّم هذا الفصل إلى قسمَيْن بعد هذا التمهيد في التعريف بشخصيّة عبد المطّلب (رضوان الله عليه) لتبيين تسلسل البحث:

كان عبد المطلب الرّجل الأوّل في قريش من حيث المكانة الاجتماعيّة والمهابة الروحيّة وسقاية حجّاج بيت الله الحرام لا من حيث القرار النافذ على قادة الجاهليّة. ولهذه المكانة في شخصيّته المعنويّة الجذّابة كانت قريش تفزع اليه في النوائب، وتلجأ إليه في المصائب وتعتبره حكيمها وحليمها وشريفها وعظيمها. وهو بالفعل كان بالِغَ الحكمة وذا صفاءٍ نفسيٍّ وغيرةٍ وشهامة. كفاه فخرًا أنه رَفَضَ عبادة الأصنام يوم كانت الأكثريّة المطلقة في قريش خاضعةً لها وتُقدِّم قرابينها للأوثان.

عبد المطلب رَحِمَهُ اللَّهُ كان يجهر بتوحيد الله سبحانه وتعالى ويعلن اعتقاده باليوم الآخر وكان يرى في حفيده محمّد بن عبدالله ﷺ الإنسان الموعود بالنبوّة والرسالة الخاتمة وصاحب الشأن العظيم عندما يَكبُر.

جاء عنه في الطبقات الكبرى لابن سعد: "كان عبد المطّلب أحسن قريش وجهًا، وأمدّها جسمًا، وأحلمها حلمًا، وأجودها كفًّا، وأبعد النّاس من كلّ موبقةٍ تُفسد الرجال، وكان يَتَألّهُ ويعظم الظلم والفجور، ولم يره مَلِكٌ قطّ إلاّ أكرمه وشفّعه، وكان سيّد قريش حتى هَلَك".[٣٥]

ونُقِل عن سبط ابن الجوزي ما موجزه: "وكان عبد المطّلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغي، ويحثّهم على مكارم الاخلاق، وينهاهم عن دنيئات الأمور. وكان يقول: (لن يخرج من الدنيا ظَلُومٌ حتى يُنْتَقَم منه وتُصيبُه عقوبة) إلى أن هَلَكَ رجلٌ ظَلُومٌ من أهل الشّام لم تُصِبْه عقوبة! فقيل لعبد المطلب في ذلك؟! فَفَكَّر وقال: "واللهّ إنّ وراء هذه الدار دارٌ يُجزىٰ فيها المُحسِن بإحسانه ويُعاقَب المُسيء بإساءته".[٣٦]

أي فالظَّلُوم شأنه في الدنيا ذلك حتى إذا خرج من الدنيا ولم تصبه العقوبة فهي مُعدَّةٌ له في الآخرة.

وتُؤثَر عنه سننٌ جاء القرآن بأكثرها وجاءتْ السُنّة بها، منها الوفاء بالنذر، والمنع من نكاح المحارم، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموءودة، وتحريم الخمر والزّنى، وأن لا يطوف بالبيت عريان".[٣٧]

وجاء في السيرة النبويّة: "وأمّا عبد المطلب بن هاشم، فكان من حلماء قريش وحكمائها، وكان مُجاب الدعوة مُحرِّمًا الخمر على نفسه، وهو أوّل مَن تَحَنَّث بِحِراء. والمُتحنِّث: المُتعبِّد اللّيالي ذواتِ العدد. كان إذا دخل شهر رمضان صَعَدَه وأطْعَمَ المساكين، وكان صعوده للتخلّي عن الناس، يَتفكّر في جلال اللهّ وعظمته".[٣٨]

ونقل العلّامة المجلسي في موسوعته بحار الأنوار: "كان يوضع لعبد المطّلب جدّ رسول اللهّ ﷺ فراشٌ في ظلّ الكعبة، وكان لا يجلس عليه أحدٌ من بنيه إجلالاً له، وكان رسول الله ﷺ -وهو صغير- يأتي حتى يجلس عليه، فيذهب أعمامُه لِيؤخِّروه، فيقول جدّه عبد المطلب: دَعُوا إبني، فيمسح على ظهرِه ويقول: إنّ لابني هذا لَشأنًا".[٣٩]

بعد هذا التمهيد أذهب بالقارئ الكريم الى بيان القسميْن من هذا الفصل:

- **القسَم الأوّل:**

كيف انتقلتْ إلى أبي طالب مهمّةُ الحماية المقدّسة لنبيّ هذه الأمّة محمّد ﷺ؟

لقد ترعرع أبو طالب في مَحضَر أبيه عبدالمطلب ذلك المؤمن الوجيه الشامخ النّبيه وأخذ من تلك الفضائل والمكارم وتربّىٰ على عقيدة التوحيد الإلهي في ظلّ الوصاية الإبراهيميّة، فورث ـ دون إخوته ـ مقامَ أبيه وهيبتَه ونورانيّةَ شخصيّته.

روى المؤرّخ الواقدي حول مجلس الوصيّة التي أوصى فيه عبد المطلب ابنَه أبا طالب بشأن حفيده رسول الله ﷺ: "قال عبد المطلب يا أبا طالب إنّني أُلقي إليك بعد وصيّتي. قال أبو طالب: ما هي؟ قال: يا بُنَي أُوصيك بعدي بِقُرّة عيني محمّد ﷺ وأنت تعلم محلّه منّي ومقامَه لديّ، فأكْرِمْه بأجَلّ الكرامة، ويكون عندك ليلُه ونهارُه وما دُمتَ في الدّنيا، اللهّ ثم اللهّ في حبيبِه". ثمّ قال لأولاده: "أكْرِموا محمّدًا ﷺ، فَسَتَرَوْن منه أمرًا عظيمًا، وسَتَرَوْن آخرَ أمرِه ما أنا أصِفُه لكُم عند بُلوغِه". فقالوا بأجمعهم: "السّمع والطاعة يا أبانا، نَفْدِيه بأنفسِنا وأموالِنا. ولم يكن في أعمام النبيّ ﷺ أرْفَق من أبي طالب قديمًا وحديثًا في أمر محمّد ﷺ الذي قال لأبيه عبد المطلب: "إنَّ نفسي ومالي دونه فداء، أُنازِعُ مُعادِيه وأنْصُرُ مواليه".

وأضاف الواقديّ: "ثمّ إنّ عبد المطلب غَمَّضَ عينَيْه وفَتَحَها ونَظَرَ قريشًا وقال: "يا قَوْم أَلَيْس حقّي عَليكُم واجبًا"؟ فقالوا بأجمعهم: "نعم حقّك على الكبير والصغير واجب، فَنِعْم القائد ونعم السائق فينا كنتَ". فقال عبد المطلب: "أُوصيكم بولدي محمّد بن عبدالله ﷺ فأحِلُّوه محَلّ الكرامة فيكم وبِرُّوه ولا تَجْفُوه، ولا تَسْتَقْبِلوه بما يَكْرَه". فقالوا بأجمعهم: "قد سمعنا منك وأطعناك فيه".[٤٠]

وهناك نصوص أخرى لوصية عبدالمطلب رَحِمَهُ اللهُ بحفيده محمد بن عبدالله ﷺ الى أبي طالب رَحِمَهُ اللهُ وفيها يكشف عن شخصية ابنه أبي طالب فيقول له: "يا بُني! تَسلّمْ ابنَ أخيك، فأنتَ شيخُ قومِك وعاقِلُهم، ومَن أجدُ فيه الحِجىٰ دونَهم، وهذا الغلامُ تَحدّثتْ به الكُهّان، وقد رَوَيْنا في الأخبار أنّه: سيَظهر مِن تُهامة نبيٌّ كريم، وقد رُوي فيه علامات قد وجدتُها فيه، فأكْرِمْ مَثْواه واحْفَظْه مِن اليَهُود فإنّهُم أعْداؤه".[٤١]

وفي وصيّة أخرى يقول له: "يا أبا طالب! إنّ لِهذا الغُلام لَشأناً عَظيماً، فاحْفَظْه واستَمْسِك به، فإنّه فَرْدٌ وَحيدٌ. وكُنْ لَه كالأمّ، لا يَصِل إليه شيءٌ يَكْرَهُه".

وأنشد يقول عبدالمطلب:

"أوصِيكَ يا عَبدَ مَنافٍ بَعْدي بمُوْحَدٍ بَعدَ أبِيه فَردِ"[٤٢]

ويؤكّد وصيّته منشدًا:

وَصّيْتُ مَن كُنيَتُه بُو طالبِ عَبدُ منافٍ وهُو ذو تَجاربِ
بِابْنِ الحَبيب أكْرَمِ الأقَاربِ بِابنِ الّذي قد غَابَ غَير آيبِ [٤٣]

فأجأبه أبو طالب بشعر قائلاً:

لا تُوصِني بِلازمٍ و واجِبِ إنّي سَمعتُ أعْجَبَ العجائبِ
مِن كلّ حَبْرٍ عالِمٍ وكاتبِ بَانَ بِحمْدِ الله قُولُ الرّاهبِ[٤٤]

وللأهمية القصوى في هذه الوصية يكرّرها عبدالمطلب لابنه أبي طالب ويقول: "أنظُرْ يا أبا طالب أن تكونَ حافِظاً لهذا الوحيدِ الذي لم يَشُمّ رائحةَ أبيه، ولم يَذُقْ شَفَقَة أمّه، انظُرْ أن يكونَ مِن جسدِك بمنزلةِ كَبِدِك، فإنّي تركتُ بَنِيَّ كلّهم وخَصَصتُك به، لأنّك مِن أمّ أبيه، فإنِ اسُتطعتَ أنْ تَتّبعَه فافْعَلْ، وانصُرْه بلسانِك ويدِك ومالِك، فإنه ـ واللهِ ـ سَيسودُكم، ويَملِك مَا لا يَملِك أحدٌ مِن آبائي، هل قَبِلْتَ"؟

فأجابه أبو طالب: "قد قَبِلتُ، واللهُ على ذَلِك شاهد". ومَدَّ يدَه إليه، فضَرَبَ بها على يدِ ابنه أبي طالب قائلاً: "الآن خُفِّفِ عليَّ الموت".

وودّعه عبدالمطّلب وهو يُقبِّله قائلاً: "أشهَدُ أنّي لم أرَ أحداً فِي وُلْدي أطيبَ رِيحاً منك ولا أحسنَ وجهاً". [٤٥]

كل هذا الكلام الذي دار في تَحاوُر الرجليْن العظيميْن عبدالمطلب وابنه أبي طالب يدلّ على مكانة أبي طالب وجدارته للدور الذي خوّله إليه أبوه، ومثل عبدالمطلب لا يختار وصيًّا من بعده للحفاظ على أمانة مثل حفيده الغالي (محمد) إلا قد وَثِقَ فيه تمام الثقة.

فتوثيق رجلٍ أمينٍ وحكيمٍ بمستوى عبدالمطلب سيّد قريش في ابنه أبي طالب (رضي الله عنهما) شهادةٌ كافيةُ الدلالة على ما لأبي طالب من صفات الكفاءة والصدق والاخلاص والشجاعة قد أهّلتْه لدوره الايماني العظيم في الإسناد والدّعم والحماية والنصرة لرسول الله محمد بن عبدالله ﷺ.

وأمّا زوجة أبي طالب تلك المرأة الصالحة المؤمنة الجليلة فاطمة بنت أسد (رحمها الله) وهي شريكة زوجها في الكفالة والرعاية والحاضرة في ميادين الخدمة فقد شهدتْ قائلةً: "لمّا ظهرتْ أمارةُ وفاة عبد المطلب قال لأولاده: مَن يَكفُل محمّداً؟ قالوا: هو أكيسُ منّا، فَقُل له يختار لنفسه. فقال عبد المطلب: يا محمّد، جَدُّك على جَناح السفر إلى القيامة، أيّ عمومتِك وعمّاتِك تريد أن يكفلَك؟ فنظر في وجوههم، ثمّ زحف إلى عند أبي طالب. فقال له عبد المطلب: يا أبا طالب، إنّي قد عرفتُ ديانتَك وأمانتَك، فكُنْ له كما كنتُ له".

وأضافتْ أمُّ طالب (رضوان الله عليها) جانبًا مضيئًا من داخل بيتها الذي احتضن محمّدًا ﷺ بعد رحيل جدّه وهو ابن ثمان سنوات تقول: "فلما تُوفّي -عبد المطلب- أخذه أبو طالب وكنتُ أخدمه، وكان يدعوني الأُمّ. وكان في بستان دارنا نخلات، وكان أوّل إدراك الرُّطَب، وكان أربعون صبيّاً من أتراب محمّد ﷺ يدخلون علينا كلَّ يوم في البستان فيلتقطون ما يسقط، فما رأيتُ قطُّ محمّداً أخذ رطبةً من يد صبيّ سبق إليها، والآخَرون يختلس بعضهم من بعض. وكنتُ كلَّ يومٍ ألتقط لمحمّدٍ حفنةً فما فوقها، وكذلك جاريتي، فاتّفق يوماً أن نَسِيتُ أن ألتقط له شيئاً ونَسِيَتْ جاريتي، وكان محمّد نائماً، ودخل الصبيان وأخذوا كلَّ ما سقط من الرّطب وانصرفوا، فنمتُ فوضعتُ الكُمَّ على وجهي حياءً من محمّد إذا انتبه. قالت: فانتبه محمّد، ودخل البستانَ فلم يَرَ رطبةً على الأرض، فانصرَفَ، فقالت له الجارية: إنّا نَسِينا أن نلتقط شيئاً والصبيان دخلوا وأكلوا جميع ما كان قد سقط! فانصرَفَ إلى البستان وأشار إلى نخلةٍ وقال لها: أيّتُها الشجرة أنا جائع. قالت فاطمة: فرأيتُ الشجرةَ قد وضعتْ أغصانَها التي عليها الرّطب حتّى أكل منها محمّدٌ ﷺ ما أراد، ثمّ ارتفعتْ إلى موضعها. فتعجّبتُ! وكان أبو طالب قد خرج من الدار، وكلَّ يومٍ إذا رَجَعَ وقَرَعَ الباب كنتُ أقول للجارية حتّى تفتح الباب. فَقَرَعَ أبو طالب، فعَدَوتُ حافيةً إليه وفتحتُ البابَ وحكيتُ له ما رأيت،

فقال: هو إنّما يكون نبيّاً، وأنتِ تَلِدينَ وزيرَه بعد ثلاثين. قالت: فَوَلدتُ عليّاً عليه السلام كما قال".[٤٦]

كيف لا يكون أبو طالب هذه سيرته في الوِقاء ومسيرته في الوَفاء لابن أخيه محمّد بن عبدالله خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي لمّا أوصاه أبوه عبد المطلب بقوله: "يا بُنيّ قد علمتَ شدّة حُبّي لِمحمّد ووَجْدِي به، أنْظُرْ كيف تحفظني فيه" انبرىٰ قائلًا: "يا أبتي لا تُوصِني بمحمّد، فإنّه إبْني وابنُ أخِي. فلمّا تُوفّي عبد المطلب كان أبو طالب يُؤْثِره بالنّفقةِ والكِسْوة على نفسِه وعلى جميع أهله".[٤٧]

رجلٌ بهذه القامة الشامخة في شخصيّته اللامعة كان جديرًا بوصية أبيه عبد المطلب، وكان أهلًا للإيثار والتفاني في تطبيقها عندما حاز على شرف الحماية لأشرف خَلْق الله من الأوّلين والآخرين.

كان أبو طالب حَرِيًّا بأن تكون هذه الجوهرة المحمّديّة الثمينة أمانةً بيده لا بيد غيره ولم يقصّر في مسئوليته التي حَمَلَها.

بذلك وما سيأتي من الأدلة ثبت أنّه وأباه عبد المطلب (رضوان الله عليهما) كانا يعلمان مسبقًا أنّ محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي بشّر به الأنبياء والمرسلون وانتظره الصالحون والمصلحون لإرساء قواعد الهداية السماويّة المستدامة في مسيرة البشريّة جيلًا بعد جيل. وها نحن اليوم ننعم بنعمة الهداية ولله الحمد إنّما بفضل المجهود العظيم

الـذي ابتـدأتْ مرحلتُـه الأولى بكفالـة عبـد المطلـب ليتيمـه محمّـد بـن عبـدالله ثـم بحمايـة أبي طالـب له وهـي النعمة المسـتمرة إلى يـوم القيامة.

فأبـو طالـب عليه السلام الـذي له فضل عـلى جميع من اهتدى الى الاسـلام والى يـوم القيامـة.. على الرغم من كِـبَر سـنّه حيث بلغ عمره الخامسـة والسـبعين تقريبًـا لمّـا بُـعِـث النبـيّ صلى الله عليه وآله بالرسـالة قـد ضَرَبَ أروع مثالٍ في الوَفـاء بهـذه الوصيّـة المقدّسـة وجسّـد فيـه أجمـل معـاني الوِقـاء لنبيّ الأمّـة، ولم تمنعـه شيخوخـتُه مـن الـذّوْد عـن حياة هـذا النبـيّ المبعوث رحمـةً للعالمـين والدفـاع عـن دينـه ودعوتـه في وجـه المخاطـر كلّهـا.. وهـو القائـل للنبـيّ صلى الله عليه وآله عندمـا أراد الإعـلانَ عـن دعوتـه وإظهـارَ أمـرِ الإسـلام: "أخرُجْ، فإنّك الرّفيعُ كَـعْبًا والمنيعُ حِزْبـاً والأعلى أبـًا، والله لا يَسـلُـقُـك لسانٌ إلاّ سَلَـقَـتْهُ ألْسُنٌ حِداد، واجْتَذَبَـتْهُ سُيوفٌ حَداد، والله لَـتَذلُّـنّ لـك العـربُ ذُلَّ البُـهْم لِحاضِنِهـا! ولقـد كان أبي يقـرأ الكتـابَ جَميعـاً، ولقـد قـال: إنّ مِـن صُلْبـي لَـنبيّاً، لَـوددتُ أنّي أدركتُ ذلـك الزّمـان، فآمنـتُ بـه، فَمَـن أدْرَكَه مِـن وُلـدي فَلْيُؤمِن بـه".[٤٨]

- **القِسم الثاني:**

كيف كانت مواقف أبي طالب المبدئيّة في إطار ايمانه بربّ محمّد وتصديقه بنبوّته ودفاعه عن دعوته؟

ما إن نزلتْ هذه الآية ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾[٤٩] على رسول الله ﷺ حتى قال لعليّ عليه السلام: ﴿**اصنعْ لي طعامًا واطبخْ لي لحماً**﴾، ثم دعا عشيرته وكانوا أربعين رجلاً. وبعد الفراغ من تناول الطعام أراد النبي ﷺ الكلام فاعترض عليه أبو لهب فقال: لهذا دَعَوْتَنا. ثم قالوا: قوموا.. فقاموا وتفرّقوا كلهم.

فلمّا كان مِن الغد صَنَعَ ما صَنَعَ في اليوم الأوّل وحين جاء دور الكلام وقف فيهم النبي ﷺ خطيبًا. فاعترضه أبو لهب أيضًا. وهنا تَدَخَّل أبو طالب عليه السلام ووجّه كلامه إلى أبي لهب قائلاً: أُسْكُتْ يا أعْوَر ما أنت وهذا؟

ثم قال للجالسين: لا يقومنّ أحد. ثم قال للنبي ﷺ: "قُمْ يا سيّدي وتَكَلّمْ بِما تُحِب، وبَلِّغ رسالةَ ربِّك، فأنتَ الصادقُ الصدّيق".[٥٠]

وفي روايةٍ أنّه (رضوان الله عليه) التفت إلى رسول الله ﷺ فأثنىٰ على دعوته وأشاد بكلامه قائلًا له بتواضعٍ وأدب: "ما أحَبَّ الينا معاونتك و أقْبَلَنا لِنصيحتِك و أشدَّ تَصديقِنا لِحديثِك، و هؤلاء بنو

أبيك مجتمعون، و إنّما أنا أحدُهم، غير أنّي أسْرَعُهم إلى ما تُحِب، فامْضِ لِمَا أُمِرْتَ به، فَوَ اللهّ لا أزال أحُوطُك و أمْنعُك -أي أحرسك وأمنعك من أن يصلك أذىٰ أعدائك- غير أنّ نفسي لا تطاوِعُني على فراق دين عبدالمطلب".

فقال أبو لهب: هذا والله السوء. خُذوا على يدَيْه قبل أن يأخُذَ غيرَكم. فقال أبو طالب: "و اللهّ لَنَمْنَعَنّه ما بَقِينا".[٥١]

وفي رواية ردّ عليه أبو طالب: "يا عورة ، والله لَننصُرنَّه ثُمَّ لَنُعِيننَّه".

وتوجّه الى رسول الله وقال: "يا ابن أخي إذا أردتَ أنْ تَدعُو إلى ربِّك فأعْلِمْنا حتَّى نَخْرُجَ مَعَكَ بِالسّلاح".[٥٢]

هذا على الرغم من أنّ أبا طالب استعمل التقيّة في هذا المجلس حينما قال: "غير أنّ نفسي لا تطاوِعُني على فراق دين عبدالمطلب" ولكنّ أبا لهب (لعنه الله) أشعل المجلس بتهديده النبيّ ﷺ مما جعل أبا طالب يُصعِّد الموقفَ باعلانه الجهوزيّة لخوض الكفاح المسلّح دفاعًا عن رسول الله ﷺ. وهذا يكشف لنا أيضاً عن قوله "غير أنّ نفسي لا تطاوِعُني على فراق دين عبدالمطلب" إنما أطلقه تقيّةً ليداري بها المتعصّبين من أمثال أبي لهب ليدفع شرّهم عن ابن أخيه محمّد ﷺ.

إلى هذا التحليل مال العلّامة الأميني (طاب ثراه) حينما علّق على قول أبي طالب قائلًا: "لم يكن دين عبدالمطلب (سلام الله عليه) إلا دين التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكُتُبه، غير مشوب بشيء من الوثنيّة".[٥٣]

ويدعم هذا الرأي الصائب حول تقيّة أبي طالب في تنويع أساليب الكلام وتعدّد المواقف باتجاه هدفٍ واحد جوابه رَحِمَهُ اللهُ لولده عليّ عليه السلام عندما كان صبيًّا حيث أبلغه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم برسالة الاسلام فقال له عليّ عليه السلام بلسان الصبا: يا رسول الله، حتى أمضي واستأذن والدي. فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إذهبْ سيأذن لك. فانطلق عليّ عليه السلام إلى أبيه يستأذنه في اتباعه للاسلام. فلمّا أخبر أباه قال له أبو طالب: "يا ولدي! تَعْلَم أنّ محمّداً أمينُ الله مُنْذُ كان، إمْضِ إليْه واتّبِعْه تُرشَد وتَفلَح".[٥٤]

أليس هذا الكلام وهذا الموقف يؤكد لنا علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإيمان أبي طالب ومَعْدِنِه وعمله بالتقيّة، وإلا هل كان يجوز للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يوجِّه عليًّا عليه السلام إلى أخْذ الإذنَ من الكافر لدخول الإسلام؟!

وعليه نستطيع القول بأنّ أبا طالب كان بطل هذه المرحلة الصعبة بكلّ ما في داخله من بطولات الزخم الإيمانيّ والعقيدة الجهاديّة وأخلاقيّات الوفاء والفداء وقد حَسَم بذلك أمرَه لدخول المواجهة

مع قادة الجاهليّة إلى حدّ النهاية. وهل يبقى بعد هذا كلّه شكّ في ايمانه العميق بالله ورسوله ودين الاسلام؟! وهل مَن لا يؤمن بالله ورسوله وهذا الدين القويم يقدّم حياته وراحته هكذا وفي وَضْعٍ تمرّ الدعوة الاسلاميّة بالضعف بين أنياب الجاهليّة ومخالب الجاهليّن؟!

هنا أدرك طغاةُ قريش أنّ أبا طالب رجلٌ عقائديٌّ والعقائديُّ لن يتنازل عن قراره.. فقرّروا المواجهة مع رسول الله ﷺ على مرحلتيْن مصيريّتيْن كان فيهما فشلهم الذريع. إحداهما كانت مرحلةٌ تَفاوُضيّة استعراضيّة، والثانية كانت تصعيديّة عُدوانيّة:

المرحلة الأولى:

قالوا له: "يا أبا طالب، إنّ لك شأنًا وشرفًا ومنزلةً فينا، وإنا قد أنهيناك مِن ابن أخيك فلم تَنْهَه عنّا، وإنا والله لا نصبر على هذا، مِن شَتْمِ آبائِنا وتسفيه أحلامِنا وعَيْب آلهتِنا، حتّى تكفّه عنّا أو نُنازِله وإياك في ذلك حتى يهلك أحدُ الفريقين...".

نقل أبو طالب عليه السلام هذا الكلام الاستعراضي إلى النبيّ الأكرم محمد ﷺ وكان جواب الرسول الأعظم: (يا عَمّاه، لو وَضَعُوا الشّمسَ فِي يَميني والقَمرَ فِي يَسارِي عَلى أنْ أترُك هَذا الأمْر حتّى

يُظهِره اللهُ أو أُهْلَكَ فيه مَا تَركْتُه). ثم سالتْ دموعُه على وَجْنَتَيْه وأراد الذهاب، إلّا أنّ أبا طالب ناداه قائلًا: "أقْبِلْ يا ابنَ أخي". فأقْبَلَ ﷺ فقال له: "اذهبْ يابنَ أخي فَقُل مَا أحْببتَ فوالله لا أسَلِّمُك لِشيءٍ أبَداً".[٥٥]

المرحلة الثانية..

لّما أبلغ أبو طالب عُتاة قريش ومشركيها جوابَ النبيّ الأعظم ﷺ وتيقّنوا أنّ أبا طالب لن يتخلّى عن ابن أخيه وهم يعرفون عقيدته في محمد بن عبدالله وفي دينه من خلال آرائه التي كان يصرّح بها في أشعاره وأقواله ومواقفه (الدبلوماسيّة!) قرّروا التصعيد بالإعلان عن المقاطعة الشاملة لأبي طالب والرسول الأعظم وأتباع الدّين الاسلامي الحنيف، فكتبوا صحيفتهم المشئومة التي علّقوها في الكعبة بثمانين ختمًا لكبار قادة الشرك والنفاق. وما كان هذا أيضًا لِيُثني أبا طالب رَحِمَهُ اللهُ عن دعمه المطلق لرسول الله ﷺ، فبدأوا بتنفيذ حصارهم لَمَن آمَن برسول الله فدفعوهم إلى منطقة يابسة في طرفٍ من مكّة عُرفتْ باسم "شِعْب أبي طالب" وكانت السنة السادسة من البعثة النبويّة الشريفة، واستمر هذا الحصار الظالم وهذه القطيعة الجاهليّة ثلاث سنوات، وكانت من أصعب السنين على رسول الله وأبي طالب والمسلمين، حتى نفدتْ أموال السيّدة خديجة أمّ المؤمنين

(سلام الله عليها) التي أنفقتْها في سبيل الله لإنقاذ الذين كانوا في "شِعْب أبي طالب" من الهلاك فصاروا يأكلون من ورق الشجر!

في هذه الظروف العصيبة من الحصار مات أبو طالب الوفيّ الصامد حامي رسول الله وبعده بثلاثة أيام ماتتْ السيّدة خديجة زوجة رسول الله تلك المرأة الأولى التي دخلتِ الإسلام صابرةً على ظُلْم قريش، وفي رواية الإمام زين العابدين عليه السلام: (إنّ أبا طالب مات بعدها بسنة واحدة).[٥٦]

كان هذان الحدثان مؤلمان لقلب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حيث استولى حزنٌ شديدٌ عليه وكانت بين يديه ابنته ذات الخمس سنوات.. فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) يتيمة أمّها الحنونة.. فأطلق صلى الله عليه وآله على تلك السنة عام الحزن وهي السنة العاشرة من مبعثه الشريف. مثل هذا الحزن عند أشرف الأنبياء وسيّد المرسلين لا يُفسَّر إلا لشدّة حبّه لأبي طالب جزاءً على مواقفه المبدئيّة وتضحياته الفَدَوِيّة.. ومثله حبّه الشديد لزوجته السيّدة خديجة وهي واحدة من أربع سيّدات نساء العالمين اللاتي اصطفاهنّ الله في الدنيا والآخرة. وهل يحزن رسول الله صلى الله عليه وآله إلا لأجل الحقّ وحاشاه الحزن على الباطل وهو المبعوث رحمة للعالمين الذي قال عنه ربّنا عزّ وجل: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾.[٥٧]

أن يحزن هذا الرسول المصطفى الذي لا يفعل شيئًا بهوىٰ نفسه على وفاة عمّه أبي طالب وكفيله وحاميه ونصيره بعد تلك المعاناة والآلام.. عمٍّ وكفيلٍ ومحامٍ ونصيرٍ ذي نخوةٍ وشهامة عاش معه ذكريات اليُتْم والطفولة والحنان والأمان.. لا يكون إلا من منطلق اعتقاده في سلامة عقيدته وإلا فهو لن يحزن على مَن لا يعتقد في سلامة عقيدته. كيف لا يحزن على الذي بعد كل تلك المواقف الجميلة تجلّىٰ شموخُه في وصيّته العظيمة التي وَضَعَ فيها الحروف على النقاط عند كلّ كلمةٍ كلمةٍ منها وبوضوحٍ لن يدانيه الشكّ.. وصيّةٍ قدّم فيها رؤيته الثاقبة للوضع الذي عاشه مع الرسول الأعظم محمّد في سابق أيّامه وللوضع الذي سيكون بعد وفاته.. الوصيّة التي قدّم فيها قراءته الاستشرافيّة العميقة فدفع بها الشك باليقين وكأنه كان يعلم عن المشكّكين في ايمانه من بعده!!

نعم.. فلِمَ لا يحزن النبيّ الأكرم على رحيل هذا العمّ الوفيّ الذي وقف مُوصيًا قريش المتعاطفين وبني هاشم والمسلمين الحاضرين عنده.. فقال وهو يشرف على الموت: "يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! اَنْتُمْ صَفْوَةُ اللهَّ مِنْ خَلْقِهِ، وَ قَلْبُ الْعَرَبِ، وَ اَنْتُمْ خَزَنَةُ اللهَّ فى اَرْضِهِ وَاَهْلِ حَرَمِهِ، فيكُمُ السَّيِّدُ الْمُطاعِ، الطَّويلُ الذَّرَّاعِ، وَ فيكُمُ الْمِقْدامُ الشُّجاعِ، اَلْواسِعِ الْباعِ، اِعْلَمُوا اَنَّكُمْ لَمْ تَتْرُكُوا لِلْعَرَبِ فِى الْمَفاخِرِ نَصيباً اِلاَّ حُزْتُمُوهُ، وَ لا شَرَفاً اِلاَّ اَدْرَكْتُمُوهُ، فَلَكُمْ عَلَى النَّاسِ بِذلِكَ الْفَضيلَةُ، وَ لَهُمْ بِهِ اِلَيْكُمُ

الْوَسيلَةُ، وَ النَّاسُ لَكُمْ حَرْبٌ وَ عَلى حَرْبِكُمْ اَلَبٌّ، وَ اِنّى اُوصيكُمْ بِتَعْظيمِ هذِهِ الْبَيِّنَةُ (يَعْنِي الْكَعْبَةُ)، فَاِنَّ فيها مَرْضاةً لِلرَّبِّ، وَ قِواماً لِلْمَعاش، وَ ثَباتاً لِلْوَطْأَةِ، صِلُوا اَرْحامَكُمْ وَ لا تَقْطَعُوها، فَاِنَّ صِلَةُ الرَّحِمِ مَنْساةٌ (فسحة) فِى الْأَجَلِ، وَ زِيادَةٌ فِى الْعَدَدِ، وَ اتْرُكُوا الْبَغْىَ وَ الْعُقُوقَ فَفيهِما هَلَكَةُ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ، اَجيبُوا الدَّاعِىَ، وَ اَعْطُوا السَّائِلَ فَاِنَّ فيهِما شَرَفُ الْحَياةِ وَ الْمَماتِ، وَ عَلَيْكُمْ بِصِدْقِ الْحَديثِ، وَ اَداءِ الْأَمانَةِ، فَاِنَّ فيهِما مَحَبَّةٌ فِى الْخاصِ وَمَكْرَمَةٌ فِى الْعام. وَ اِنّى اُوصيكُمْ بِمُحَمَّدٍ خَيْراً فَاِنَّهُ الْأَمينُ فى قُرَيْشٍ، وَ الصِّدّيقُ فِى الْعَرَبِ، وَ هُوَ الْجامِعُ لِكُلِّ ما اَوْصَيْتُكُمْ بِهِ، وَ قَدْ جاءَنا بِاَمْرٍ قَبِلَهُ الْجَنانُ، وَ اَنْكَرَهُ اللِّسانِ، مَخافَةَ الشَّنَآنِ، وَ اَيْمُ اللهَّ كَاَنّى اَنْظُرُ اِلى صَعاليكِ الْعَرَبِ وَ اَهْلِ الْأَطْرافِ وَ الْمُسْتَضْعَفينَ مِنَ النَّاسِ قَدْ اَجابُوا دَعْوَتَهُ، وَ صَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَ عَظَّمُوا اَمْرَهُ، فَخاضَ بِهِمْ غَمَراتِ الْمَوْتِ، وَ صارَتْ رُؤَساءُ قُرَيْشٍ وَ صَناديدُها اَذْناباً ، وَ دَوْرُها خَراباً، وَ ضُعَفاؤُها اَرْباباً، وَ اِذاً اَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ اَحْوَجُهُمْ اِلَيْهِ، وَ اَبْعَدِهِمْ لَهُ اَحْظاهُمْ عِنْدَهُ، قَدْ مَحَضَتْهُ الْعَرَبُ وِدادَها، وَ اَصْفَتْ لَهُ فُؤادَها، وَ اَعْطَتْهُ قِيادَها.

دُونَكُمْ يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! اِبْنَ اَبيكُمْ، كُونُوا لَهُ وُلاةً وَ لِحِزْبِهِ حُماةً، وَ اللهَّ لا يَسْلُكُ اَحَدٌ سَبيلَهُ اِلاَّ رَشَدَ، وَ لا يَأْخُذُ اَحَدٌ بِهُديهُ اِلاَّ سَعَدَ، وَ لَوْ كانَ لِنَفْسى مُدَّةً، وَ فى أَجَلى تَأْخيراً، لَكَفَفْتُ عَنْهُ الْهَراهِزَ، وَ لَدافَعْتُ عَنْهُ الدَّواهِىَ".[٥٨]

تحمل هذه الكلمات رسالةً دقيقةً في الحنكة السياسيّة التي كان يمتلكها أبو طالب على صعيد كتمان إيمانه بدين محمّد ﷺ وحرصه على حمايته من جهة وإبعاد شرّ طغاة الجاهليّة عن المزيد من الإضرار بالدعوة الاسلامية الناشئة.. هذه الحنكة هي ما تُسمّى في مذهب أهل البيت عليهم السلام بالتقيّة ويمارسها الآخرون بلا تسمية!

وقد كتب العلّامة الأمينيّ (قدّس سرّه) مشيرًا إليها عند تعليقه على وصيّة أبي طالب عليه السلام قائلًا: "في هذه الوصيّة الطافحة بالإيمان والرشاد.. دِلالةٌ واضحة على أنّ أبا طالب إنّما أرجأ تصديقَهُ (للرسالة) باللسان إلى هذه الآونة التي يئس فيها من الحياة حذار شَنَآن قومه المُستَتْبِعِ لانثيالِهم عنه المُؤدّي إلى ضعف المُنّة وتفكُّك القُوىٰ، فلا يتسنّىٰ له حينئذٍ الذَّبُّ عن رسول الله ﷺ، وإن كان الإيمان به مستقرّاً في الجَنَان من أوّل يوم، لكنّه لمّا شَعَرَ بأُزوف الأجل وفوات الغاية المذكورة.. أبدىٰ ما أجَنّتْه أضالعُه، فأوصىٰ بالنبيّ ﷺ بوصيّته الخالدة".[٥٩]

إنّ هذا الوفاء إلى حدّ الوفاة لا يمكن أن يصدر وفي زمن الجاهليّة الجَهْلاء إلا من رجلٍ اسمه أبو طالب أمير الحكماء وعضيد خاتم الأنبياء ﷺ.. الرجل الذي أعدّه الله لهذه المهمّة المحوريّة ليشقّ الطريق الوَعِر أمام نبيّ هذه الأمّة في أخطر منعطفات المواجهة بين رسول الله وبين أعداء الله. فلولا مواقف أبي طالب هذه في حماية

النبي ﷺ والمسلمين لما قامتْ للإسلام قائمةٌ يمتدّ فَضْلها على كلّ مسلم ومسلمة إلى يوم القيامة.

فما الذي سيجزي اللهُ أبا طالب (طاب ثراه) من جزاءٍ على هذا الإحسان الكبير الذي قدّمه إلى الاسلام والأمة ببسالةِ وقْفتِه مع رسوله الأعظم ﷺ وهو القائل في محكم كتابه العزيز: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾؟[٦٠]

نقرأ جواب هذا السؤال من لسان الإمام جعفر الصادق عليه السلام في قوله: (نَزَلَ جَبرئيلُ عليه السلام على النبيّ ﷺ فقال: يا محمّد، إنّ ربَّك يُقْرِئُك السّلام ويقول: إنّي قد حَرّمتُ النّارَ على صُلْبٍ أنْزَلَك، وبَطْنٍ حَمَلَك، وحِجْرٍ كَفَلَك، فالصُّلْب صُلْب أبيكَ عبدِالله بنِ عبدِ المطّلب، والبطن الذي حَمَلَك فآمِنة بنتِ وهب، وأمّا حِجْرٌ كَفَلَك فحِجْرُ أبي طالِب).[٦١]

نعم.. حِجْرُ أبي طالب الدافئ والصادق وذي الإيثار المتدفّق حرامٌ أن تَمَسَّه النار.

الفصل الثالث

"إشراقاتٌ من قصصه وأشعاره"

- **التمهيد:**

هنا مسألتان.. سنستعرضهما على نحو الشرح التالي:

- **المسألة الأولى**

يكشف الإنسان عمّا يؤمن به من خلال أمريْن يصدران عنه.. قَوْله وفِعْله، ولذلك يخاطبنا القرآن الكريم بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾.[٦٢]

فلننظر في هذا الفصل من البحث كيف كشف أبو طالب (أعلى الله درجاته) عن إيمانه الصادق بتوحيد الله وتصديقه لرسوله من خلال:

١- أفعاله التي تبدّلتْ إلى قصص مناقبيّة.

٢- أقواله التي عكستْها أشعاره الهادفة.

ولكن هنا مسألة لابد من تفكيك ملابساتها لتيسير فهم الغايات التي حملها هذا البحث.. وهي مسألة التقيّة المداراتيّة في حياته رَحِمَهُ اللهُ

والتـي يقـترب منهـا مصطلـح (الدبلوماسـيّة) في ادارة المعرفة السياسـيّة المعاصرة.

أبـو طالـب بصفتـه قائـدًا لمـشروعٍ كبـير في مرحلـةٍ زمنيّةٍ صعبـة كان لابـد لـه وكـغيره من القـادة العـظماء أن يـمارِسَ في بعض تلـك المقاطع الزمنيّـة مبـدأ التـقـيّة ، وهـذا كان مـن صميـم حكمتـه الايمانيّـة التـي أسـلفنا الاشـارة إليهـا في الفصـل السـابق ودعمناهـا بـكلام العلّامـة الأمينـي صاحـب الغديـر (قـدّس سرّه)، وقد أشـار اليه بعـض الباحثين الآخريـن أيضًـا في زاويـة مـن سـيرته الطيّبـة ومسـيرته العَـطِـرة كابـن كثـير مثـلًا حيـث كتـب: "وكان اسـتمرار أبـو طالب عـلى ديـنِ قومِه من حكمـةِ الله تعـالى، ومـما صَـنَـعَـه لرسـولِه مـن الحمايـة، إذ لو كان أسْـلَم أبـو طالب لمـا كان له عند مشركـي قريـش وجاهةٌ ولا كلمـة، ولا كانوا يهابونـه ويحترمونـه، ولَاجـترأوا عليـه، ولَـمَـدّوا أيديَهُـم وألسـنتَهُم بالسّـوء إليه".[٦٣]

والتقيّـة أيضًـا مارَسَـها الشـهيد الصدّيـق حبيـب النجّـار في مدينتـه لسـنواتٍ طويلـة إذ كان يتعبّـد لله تعـالى بعيدًا الأنظار ومـن دون مواقف مخالفـةٍ لجاهليّـة قومـه إلا في آخـر حياتـه التـي وقف مـع الحواريـيّن علنًا فـأدّتْ وقفتُـه الى استشـهاده كـما ذكرنـا ذلـك في الفصـل الأول وقصـة مؤمـن آل فرعـون المشـابهة لقصتـه.. بينـما أبـو طالـب مـارَسَ التقيّـة في بعـض فـترات حياته ليضـيّع البوصلـة على طغـاة قريش وبغـاة الجاهليّة

وقد سدّد بتقيّته المشمولة بهذه الآية ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**﴾.[٦٤] جميعَ أهدافه الإلهيّة في مشروع الاسناد والتصديق كما وضّحناه في الفصل الثاني.

وهنا لابد من الاشارة أيضًا إلى أنّ هذه الفِطنة التي غلب بها أبو طالب دهاء مشركي قريش والتي أكملها ابنُه الإمامُ عليّ عليه السلام في الاطاحة بهم وفي مستويات أكبر انتهتْ الى الفتح السلمي لأرض مكّة لَحَقَتْه ذلّةُ المشركين وانهزام قياداتهم. هذا الدهاء من أبي طالب (رحمة الله عليه) وهذه الاطاحة بالموتورين في زمن الجاهلية على يد إبنه الإمام علي عليه السلام جعلتْهم يُبغِضون عليًّا عليه السلام ويتّهمون أباه بالكفر وعدم الإيمان.. ذلك إنما نكايةً بعليّ عليه السلام في الوقت الذي يعلمون الحقيقةَ تمامًا كما كان يعلمها قاتلو الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام في كربلاء حينما دَنَا منهم في يوم عاشوراء وسألهم: (يَا وَيْلَكُم عَلَى مَ تُقاتِلُوني، عَلَى حَقٍّ تَركْتُه أمْ عَلَى سُنَّةٍ غَيّرتُها أمْ عَلَى شَرِيعةٍ بَدّلتُها أمْ عَلَى جُرْمٍ فَعَلتُه)؟ فقالوا له: "بَل نُقاتِلُك بُغْضًا مِنّا لِأبِيك، ومَا فَعَلَ بِأشْياخِنا يَومَ بَدرٍ و حُنَيْن".[٦٥]

فقضيةُ تكفير أبي طالب (رضوان الله عليه) ليست سوى الحقد الدفين والكُرْه المتراكم ضدّ ابنه الإمام علي عليه السلام؛ وإلا فتاريخ أبي طالب يشعّ نورًا بالإيمان التوحيدي وبالمواقف البطوليّة وما تَقِيّتُه في عدم الجهر بإسلامه في بداية أمره إلا لحكمة الإسناد للرسول

الأعظم والتصديق بدينه الاسلامي الحنيف واستمالة المخالفين أو تحييدهم حيث كان موقعه يتطلّب تسيير المرحلة بشيءٍ من الكتمان وشيءٍ من الحزم وهو الأكثر كما تبيّن من سلوكه عبر أفعاله وأقواله وقصصه وأشعاره ما سبق ذِكْرُه وما سيأتي.

ولا سببٌ آخر يختبئ وراء التحامُل ضدّ أبي طالب وتشويه سمعته وفيه من الإيذاء لرسول الله ﷺ ما لا يُنكَر ورسول الله حيٌّ عند ربّه يرى هذه الإساءة الى كافله وناصره الذي مات على الاسلام وهو الآن معه في الجنّة بكلّ الأدلة التي سُقناها سابقًا ونسوقها الى نهاية هذا البحث!!

هذا في الوقت الذي يقول مُكفِّرو أبي طالب بإسلام غيره ممن آذَوْا النبيّ ﷺ في مكّة وسفكوا دماء المسلمين في بَدْرٍ وأحُد وتآمروا عليه وعلى الصحابة الأجلّاء وعلى المشروع الإسلامي الكبير، وهم لايزالون يثنون على إسلامهم الذي جاء في وقت الهزيمة وعند جَمْع الغنائم بينما أبو طالب رضي الله عنه الذي جاهدهم دفاعًا عن النبيّ الأعظم ﷺ يرونه في ضَحْضَاحٍ من النار!![٦٦]

هل يُعقَل هذا؟

وهل من الانصاف هذا؟

وهل هذا من الأخلاق والتقوى؟

أليس هذا الموقف القبيح بل الحرام الأكيد يُبطِن إدانةً لمواقف الرسول الأكرم وأقواله حول مناقب عمّه أبي طالب؟

بلىٰ.. إنهم كذلك ما لم يحذروا من قول الله تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾؟![٦٧]

يقول ابنُ أبي الحديد المعتزلي في هذا الشأن: "ولم أستجِزْ أن أقعدَ عن تعظيم أبي طالب، فإنّي أعْلَمُ أنّه لولاه لما قامتْ للإسلام دعامة، وأعْلَمُ أنّ حقّه واجبٌ على كلّ مسلم في الدنيا إلى أن تقومَ الساعة، فكتبتُ:

فلولا أبو طالبٍ وابنُه ... لَمَا مَثُلَ الدّينُ شخصاً فقاما
فهذا بمكّةَ آوى وحامى ... وهذا بِيثربَ شامَ الحُسَاما
تَكَفَّلَ عبدُ منافٍ بأمرٍ ... وأودىٰ وكان عليٌّ تماما
فللهِ ذا فاتحاً للهُدىٰ ... ولله ذا للمعالي خِتَاما
وما ضَرَّ مَجْدَ أبي طالبٍ ... جَهُولٌ لَغىٰ أو بصيرٌ تَعامىٰ
كما لا يَضرُّ إيابَ الصباحِ ... مَن ظنَّ ضوءَ النّهارِ ظُلامَا"[٦٨]

هذا مع العلم أنّ أكثر السياسيّين في الأزمنة الغابرة وفي زماننا يمارسون التقيّة سواءً من أجل الحقّ أو في سبيل الباطل، بينما كانت تقيّة أبي طالب في موارد محدودة وفي سياق فطنتِه القياديّة لإدارة

الصراع المصيريّ دعمًا لنبيّ الاسلام العظيم.. ثم يبقى هذا المظلوم في رأي الحاقدين على ابنِه قد مات كافرًا ومشركًا وغيره الذين حاربوه ثم أسلموا بطريقتهم الخاصة يتحوّلون الى أبطال الاسلام! ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾![٦٩]

وقديمًا كان الصالحون يُرمَوْن بالباطل حتى قال مولانا الإمام محمد الجواد عليه السلام لبعض أصحابه: (إنَّ رِضَا اللهّ وَطَاعَتَهُ وَنَصِيحَتَهُ لَا تُقْبَلُ وَلَا تُوجَدُ، وَلَا تُعْرَفُ إِلَا فِي عِبَادٍ غُرَبَاءَ أَخْلَاءً مِنَ النَّاسِ قَدِ اتَّخَذَهُمُ النَّاسُ سِخْرِيّاً لِمَا يَرْمُونَهُمْ بِهِ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ).[٧٠]

إنّ هذا الظلم في حقّ أبي طالب يجب النزوح عنه بمعرفة الحقائق التاريخية عبر منهج البحث العلمي والموضوعيّ، فإنه متى ما كان المسلم ابنًا للدليل مَالَ معه حيثما يميل، ونحن هنا على ثقةٍ بالنتيجة التي ستجعله يقف بإجلال وإكبار لأبي طالب على ما وَقَفَه من مواقف شجاعة وما كان يمتلك من مواهب نادرة كما نحن وقفنا مع كلّ المنصفين لهذه الحقيقة المنحازة إلى الحقّ والفضيلة لا إلى الجهل والجاهلية.

- **المسألة الثانية:**

حول روائع القصائد والأشعار التي كان يطلقها أبو طالب الأديب العربيّ الشجاع وهو يعبّر بها عن مكنون رأيه في الأحداث التي كانت تجري حوله.. وقد اتخذتْ قضية ابن أخيه محمّد بن عبدالله ﷺ مساحةً واسعةً من أشعاره والتي ميّزتْها عمّا كان يطلقه الشعراء الآخرون في مجتمعه.. المجتمع الذي كان الشعر فيه من أهمّ ركائز الاهتمامات الشعبيّة ومجالس الأدباء.. إذ كانوا يتسابقون ويتبارون ويتباهون ويتنافسون ويتفاخرون بأشعارهم كلما قدّموا قصيدةً جديدة ، وكان عنصر الوزن متقدّمًا لديهم على عنصر المفاهيم التي تحتويها. وكانت الجُمَل النثريّة تأتي في الدرجة الثانية من بعد الشعر في قائمة الاهتمامات اللّغوية عندهم.

في هذا المحيط العربي أنزل الله القرآن الكريم بلسانٍ عربيٍّ مُبين لا هو من الشعر ولا هو من النّثْر بل فاقهما في جميع الميادين اللغويّة والإيقاعيّة والمفهوميّة والهدفيّة حتى عجز كبار الشعراء والأدباء عن الإتيان بمثله أو بعضه.. حيث المحتوى السماويّ الهادف من جهة والكلمات الموزونة بِنَسَقٍ تنظيميٍّ جديدٍ من جهة.. واعلانه التحدّي المفتوح الى يوم القيامة من جهة ثالثة قد أسقط بين يديه أكبر الشعراء وصَرَعَ أشهر الأدباء...

فيا تُرىٰ.. في هذا المجتمع وفي هكذا ثقافةٍ سائدة أين نجد موقع أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يملك مخزونًا هائلًا من الشعر الذي تجاوز الثلاثة آلاف بيت شعر وإنْ كان المطبوع منه ألف بيت شعر؟

لقد جمع بعض المهتمين بالتراث العربي أشعار أبي طالب في ديوان، أمثال أبي هفّان المهزمي البصري (المتوفى سنة ٢٥٧هـ) وعلي بن حمزة البصري التميمي (المتوفى سنة ٣٧٥هـ)، وقد قام الشيخ محمد حسن آل ياسين بالتحقيق فيهما وجَمَعَهما في كتاب واحد طُبِعَ تحت عنوان (ديوان أبي طالب) وغيره من الكتب والدراسات التي صدرتْ في هذا الشأن.

في رأينا أنّ ما سوى الجانب الأدبي والتراثي لأشعار أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ هناك جانب أهمّ وهو الجانب التوثيقي لأحداث تلك المرحلة التي عاشها بكفالته ورعايته وحمايته لأعظم رسول في تاريخ الأرض ومسيرة البشريّة محمد بن عبدالله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.. إنّ هذا الجانب المُشرِق الأهمّ يجب أن يحظىٰ اهتمامًا أكبر لأنه من مصادر المعرفة التاريخيّة وتقييم الشخصيّات الأوائل في مسيرة الأمّة الاسلامية.

من أجل ذلك كان النبيّ وأهل بيته (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين) يهتمّون

بأشعار أبي طالب (رضوان الله عليه) ويوصون بتعلّمها ونشرها كما يظهر مثلًا في مدح السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام أباها بشعر أبي طالب وإذا به صلى الله عليه وآله يعلّق قائلًا: (يَا بُنَيّة هذا قَوْلُ عمِّكِ أبِي طَالِب).[٧١]

من هنا جاء حثّ النبيّ والأئمة (عليه وعليهم الصلاة والسلام) على حفظ وتعليم ونشر وتدوين أشعار أبي طالب كما سنذكر روايات بهذا الشأن في الفصل اللاحق.

فالخصوصيّة في أشعار أبي طالب (أعلى الله مقامه) ليست في بُعدها الأدبي فقط بل إنّ بُعدها التوثيقي لتلك المرحلة الزمنية المعقّدة هو الأهمّ في ركن البحث التاريخي مضافًا إلى ما حوتْه أشعاره من عقائديّات وأخلاقيّات وحماسيّات، كقوله مثلًا:

في توحيد الله:

مَلِيكُ النّاسِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ هُوَ الوَهّابُ وَالمُبْدِي المُعِيدُ
وَمَنْ تَحْتَ السَّماءِ لَهُ بِحَقٍّ وَمِن فَوْقِ السَّماءِ لَهُ عَبِيدُ[٧٢]

في ايمانه بالرسول الأعظم:

لَقَد أكْرَمَ اللهُ النّبيَّ محمَّدًا فَأكْرِمُ خَلْقِ الله فِي النّاسِ أحْمَدُ
وشَقَّ لَه مِن اسمِه لِيُجِلَّه فَذُو العَرشِ مَحمودٌ وهذا مُحَمَّدُ[٧٣]

ويقول (رضوان الله عليه):

ألا إنّ خَيرَ النّاسِ أمّـًا ووالِـدًا إذا عُـدَّ سـاداتُ البريّـةِ أحمـدُ
نبـيٌّ إلٰـهِـي والـكـريـمُ بأصلـه وأخلاقِه وهو الرّشيدُ المُؤيَّـدُ
حَـزيمٌ على جُـلّ الأمـورِ كـأنّـهُ شهابٌ بكـفّـي قـابسٍ يـتـوقّـدُ[٧٤]

ويقول (رضوان الله عليه):

إنّ الأمـيـنَ محـمّـدٌ فـي قـومِـهِ عـنـدي يَـفـوقُ مَـنـازِلَ الأولادِ
لَـمّا تَـعَـلّـقَ بالـزّمـامِ ضَـمَـمْـتُـه والـعِـيـسُ قد عُـلِّـقْـنَ بـالأزوادِ
فارْفَـضَّ مِن عَـيْـنَـيَّ دَمْـعٌ ذَارِفٌ مِـثـلَ الـجُـمـانِ مُـفـرِّقٌ بِـبـدادِ
راعَـيْتُ فِيه قَـرابـةً مَـوْصولـةً وحَـفِـظتُ فِيه وصـيّةَ الأجـدادِ[٧٥]

وهنـا مقالٌ نَشَرَه موقع (المدينة) التابع لأهل السـنّة تحت عنوان:

إبداعـات في المديـح النّبـويّ.. "رائعـة أبي طالـب" نموذجـاً، للكاتب "عاصـم حمـدان" بعنـوان: (رؤيـة فكريّـة) ننقلـه بتـصرّفٍ طفيـف لأهمّية ما جـاء فيـه.. قـال الكاتب:

فلقـد عُرف صـلّى الله عليه (وآله) وسـلّم في الحقبة الجاهليّة بالشـمائل البديعـة، والأخـلاق المثاليـة، فقـد كان يُدعـى بـ"الصـادق" و"الأمين". ومـن دلائـل نبوّتـه الشريفـة تحكيمه بـين بطـون قريش بعـد بنـاء الكعبة الشريفـة، واختصامهـا في أحقّيـة مَـن يضـع الحجـر الأسـود في مكانـه الأسـاسي، فرضيـتْ بـه القبائـل والبطـون والفـروع حَكَـماً ووسـيطاً..

ثم كان "حِلْفُ الفُضُول"، والذي حضره سيدنا النبي صلّى الله عليه (وآله) وسلّم مع جدّه عبدالمطلب بن هاشم، الذي رعاه صغيراً، وكَفَلَه يتيمًا، ذلك الحِلْف الذي تَعاهَد فيه القرشيّون على رفع الظلم عن المظلومين، ويأتي في هذا السياق تقريظًا لذلك الحلف المبارك، قوله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم: (لقد شهدتُ فِي دَار عبدالله بن جَدْعَان حِلْفًا، لَو دُعيتُ بِهِ فِي الإِسْلَام لَأَجَبْت، تَحَالَفوا أَنْ يَرُدّوا الفُضولَ عَلَى أَهلِهَا، وَأَنْ لَا يَعُد ظَالِمٌ مَظْلُومًا).

وبين أيدينا نصٌّ شعريّ لعمّ رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم أبي طالب، والذي احتضن النبي صلّى الله عليه (وآله) وسلّم بعد وفاة جدِّه، حيث كانت فترةٌ عصيبة على صاحب الرسالة صلّى الله عليه (وآله) وسلّم، فحماه عمُّه وآواه ونَصَرَه وآزَرَه، ووقف مُدافعًا عنه أمام قريش، والنصّ شهادةٌ على عظمة سيدنا النبي صلّى الله عليه (وآله) وسلّم التي كانت محلّ إعجاب، وجاذبيّة من جميع الناس، ممن يعرفون للفضائل قيمتها وللشمائل الكريمة وزنها. والنص أشار إليه صاحب كتاب "طبقات فُحُول الشعراء"، محمّد بن سلام الجمحي، وعَدّه في المقاييس الشعرية من النصوص الجيدة، حيث أورد النص في صفحة (٢٤٤) قائلاً: (.. وكان أبو طالب شاعرًا جيّد الكلام، أبرعُ ما قال [قصيدته] التي مدح فيها النبي صلّى الله عليه (وآله) وسلّم.

ومن أبيات هذا النصّ الرائع، الذي أورده صاحب "السيرة النبويّة" ابن هشام كاملة، ما تقول أبياته تعبيرًا صادقًا عن حبّ أبي طالب لابن أخيه، صلّى الله عليه (وآله) وسلّم، ومؤازرته له، وذلك بتسخير المولى عزّ وجلّ لنبيه، وخاتم رسله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم، في الوقت الذي عزّ فيه النصير، بعد رحيل السيدة الكبرى خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها وأرضاها، وجده عبدالمطلب، تقول الأبيات:

لَعَمْرِي لَقَدْ كَلِفْتُ وَجْدًا بأَحْمَد ... وإِخْوَتِهِ دَأْبَ المُحِبِّ المُوَاصِلِ
أُقيمُ عَلى نَصرِ النَبِيِّ مُحَمَّدٍ ... أُقَاتِلُ عَنْهُ بِالقَنا وَالقَنابِلِ
فَلا زَالَ في الدُّنْيَا جَمَالاً لأَهْلِهَا ... وزَيْنًا لَمِنْ وَالَاهُ رَبَّ المَشَاكِلِ
فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤَمِّل ... إِذَا قَاسَهُ الحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُلِ
حَلِيْمٌ رَشِيْدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ ... يُوالِي إِلَهًا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ
لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لا مُكَذَّبٌ ... لَدَيْنَا ولا يُعْنَى بِقَولِ الأَبَاطِلِ
فأَصْبَحَ فِيْنَا أَحْمَدٌ فِي أَرُوْمَةٍ ... تُقَصِّرُ عَنْهُ سَوْرَةُ المُتَطَاوِلِ
حَدَبْتُ بِنَفْسِي دُوْنهُ وحَمَيْتُهُ ... ودَافَعْتُ عَنْهُ بِالذُّرَىٰ وَالكَلاكِلِ
فَأَيَّدَهُ رَبُّ العِبَادِ بِنَصْرِهِ ... وأَظْهَرَ دِينًا حقُّهُ غَيْرُ بَاطِلِ

هكذا تَوَلّهَ المُحبّون في ذات الحبيب المصطفى صلّى الله عليه (وآله) وسلّم، فجاء شعرُهم ينضح صِدْقًا، وينتشر شذًى يعطّر القلوب الوالهة، ويسلك بِمُنشدِيه مسالك العرفان الخالص، والوجد

العامر للجانب المحمّدي، وكلّ المُنىٰ رضاه صلّى الله عليه (وآله) وسلّم، والغاية الأسمى أن يفاخر بهم الأمم يوم الجزاء الأوفىٰ، فما أسمىٰ الغاية، وما أشرف المسعىٰ، وما أنبل الطريق، فاللّهم نسألك الوصال بحبيبك المصطفى سيدنا محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم، وأن تجعلنا تحت لوائه يوم تجمع العباد ليومٍ لا ريب فيه، وليس لنا من زادٍ لذلك سوى محبّة خالصة، وشوق لسيّدنا المجتبىٰ، ورسولنا المصطفىٰ، صلّى الله عليه (وآله) وسلّم.

- **نماذج من المواقف والأشعار:**

بعد هذا التمهيد بمسألتَيْه المذكورتَيْن نأخذ هنا نماذج من مواقف أبي طالب المُشرِقة كأفعالٍ كاشفة ومن أشعاره الهادفة كأقوالٍ صادقة.. وبهما نتّجه نحو المزيد من معرفة هذا الرجل العظيم ومن حُبّه والترحّم عليه تأسّيًا برسول الله محمد بن عبد الله ﷺ في حبّه لعمّه أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ وهذا مما يَسُرّ الله ورسوله والمؤمنين حتمًا:

ا- رجلٌ بِجدارةِ الرُّجُولة:

روى أهل السِّيَر: كان النبيّ ﷺ قد خرج إلى الكعبة يومًا وأراد أن يصلّي، فلما دخل في الصلاة قال أبو جهل - لعنه الله -: مَن يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟ فقام ابن الزبعرى فأخذ فَرْثًا

ودمًا. فلطّخ به وَجْهَ النبيّ ﷺ، فانفتل النبيّ ﷺ من صلاته، ثم أتى أبا طالب عَمَّه فقال: (يا عمّ ! ألا ترىٰ إلى ما فُعِلَ بي)؟ فقال أبو طالب: مَن فَعَلَ هذا بك؟! فقال النبيّ ﷺ (عبدالله بن الزبعرى). فقام أبو طالب ووَضَعَ سيفَه على عاتقه ومشىٰ معه حتى أتىٰ القوم، فلمّا رأوا أبا طالب قد أقْبَل جَعَلَ القوم ينهضون. فقال أبو طالب: والله لئن قام رجلٌ لَجَلّلْتُه بسيفي. فقعدوا حتى دنا إليهم، فقال: يا بُنَي مَن الفاعل بك هذا؟ فقال: عبدُالله ابن الزبعرى، فأخَذ أبو طالب فَرْثًا ودمًا فلطّخ به وجوهَهم ولِحاهُم وثِيابَهم، وأساءَ لهُم القول.[٧٦]

٢- إنَّك لَمُبارَك:

كان أبو طالب يحبّ ابنَ أخيه محمّد بن عبدالله حُبّاً جمّاً لا يحبّه ولدَه، ولا ينام إلا إلى جَنْبه، وكان يخصّه بالطعام، فإذا أراد أنْ يغذّي عياله، قال: "كما أنتُم حتّى يَحضَر ابني". فيأتي رسول الله، فيأكل معهم، وكان يقول: "إنَّك لَمُبارَك".[٧٧]

٣- ثلاث استسقاءات مُجابة:

» الأولى: في حياة عبد المطلب (رحمة الله عليه)، لمّا أصاب أهل مكّة من الجَدْب العظيم، وأمسك السّحاب عنهم سنتيْن، أمَرَ عبد المطلب ابنه أبا طالب أن يحضر حفيدَه محمّداً ﷺ فأحْضَره فَوَضَعه على يدَيْه واستقبل الكعبة وقدّمه إلى السّماء، وقال: يا ربِّ بحقّ هذا الغلام، وجَعَلَ يكرّر قوله ويدعو: (اسْقِنا غَيْثاً مُغِيثاً دائماً هَطِلاً). فلم يلبثَ ساعة حتّى أطبقتِ الغُيومُ وَجْهَ السّماء وهَطَلَ المطرُ مُنهمِراً حتى خافوا من شدّته على المسجد أن ينهدم.[٧٨]

» الثانية: كان النبيّ ﷺ في هذه المرّة أكبر سنّاً حين خرج به عبدالمطلب إلى جبل أبي قُبَيْس ومعه وجوه قريش يرجون الاستجابة ببركة النبيّ ﷺ، وقد أشار أبو طالب إلى هذه الواقعة بقصيدةٍ أوّلها:

أبونا شفيعُ النّاس حين سُقُوا به مِن الغيْث رَجّاسَ العَشِير بُكُور
ونحن ـ سنين المحل ـ قام شفيعُنا بمكّة يدعو والمياه تَغور [٧٩]

» الثالثة: طلبتْ قريش من أبي طالب أن يستسقيَ لهم، فخرج أبو طالب إلى المسجد الحرام وبيده النبي ﷺ ـ وهو غلام ـ كأنه شمسٌ دُجىً تَجلّتْ عنها غُمامة ـ فدعا اللهَ بالنبي ﷺ فأقبلتِ السّحابُ في السّماء وهَطَلَ المطر فسالتْ به الأودية

وسَــرَّ الجميـع. وقـد ذكر أبـو طالب هـذه الكرامـة أيضـاً عندما تمـادتْ قريـش في عدائِهـا للنبـيّ ﷺ فقـال:

وأبيضُ يُستسقىٰ الغـمامُ بِوجـهه ربـيـعُ الـيتامىٰ عـصـمـةٌ للأرامـل
تَـلُـوذ بِـه الـهُـلّاك مِـن آلِ هـاشـم فهم عنده في نِـعـمـةٍ وفَـواضِـل[٨٠]

وهـي قصيـدة طويلـة، كان بنـو هاشـم يُعلّمونهـا أطفالهـم.[٨١] وفيها الكثـير ممـا يـدلّ عـلى إيـمان أبي طالـب العميـق بـالله تعـالى واعتقـاده الصـادق بنبـوّة ابـن أخيـه محمّـد ﷺ. وقـد ذكر هـذا الأمر ابنُ هشـام في سـيرته وابـنُ كثـير في تاريخـه وغيرُهمـا.[٨٢]

هـذا وفي موقـفٍ متّصل يقـول الرواة: إنّ أهـل المدينة أصابهـم قَحْطٌ شـديد فَشَكَــوْا ذلك إلى رسـول الله ﷺ، وفي رواية أنّ أعرابــيًّا جاء إليه فأنشد:

ولـيـسَ لـنـا إلاّ إلَـيـكَ فِــرارُنـا وأينَ فِرارُ الناسِ إلاّ إلى الرُّسْلِ

فقـام النبـي ﷺ فحَمِدَ الله وقال: (اللّهم اسْـقِنا غَـيَـثاً مَــرِيئاً هَــنِيئاً مَــريعاً...) فـما رَدّ يـدَه إلى نَحـرِه حتّـى أمطـرتْ السّـماء وجـاء النـاس يَضُجّـون: الغَـرَق الغَـرَق يـا رسـول الله!! فقـال: (اللّهـم حَوالِينـا ولا عَلَينـا). فانجـاب السّـحاب عـن المدينـة حتى اسـتدار حولهـا كالإكليل، فضحـك رسـول الله ﷺ حتى بَـدَتْ نَواجذُه ثـم قـال: (لله دَرّ أبي طالب

لَـو كان حَـيّاً لَـقَـرّتْ عينُـه، مَـن يَنشـدُنا قولَـه)؟ فقـام عـليٌّ فقـال: (يَا رسـولَ الله لعلّـك أردتَ):

وأبيضُ يُستَسقىٰ الغَـمامُ بوَجـهِهِ ثمالُ اليَـتامىٰ عِصـمَـةٌ للأرامِـلِ

قـال: أجل فأنْشـدَه أبياتـاً من هذه القصيدة ورسـول الله ﷺ يسـتغفر لأبي طالب عـلى المنبر.[٨٣]

فلـو كان أبـو طالـب قـد مـات مُـشرِكاً -والعيـاذ بـالله- هـل كان النبـيّ ﷺ يخالـف الأمـر القرآنيّ هـذا: ﴿**مَـا كَانَ لِلنَّبِـيِّ وَالَّذِيـنَ آمَنُوا أَن يَسْـتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِـينَ وَلَـوْ كَانُـوا أُولِي قُرْبَىٰ مِـن بَعْـدِ مَـا تَبَيَّنَ لَهُـمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـابُ الْجَحِيـمِ**﴾؟![٨٤]

فحضـور أبي طالـب في جميـع هـذه الاستسـقاءات وعـلى لسـان الصـادق الأمـين نبيّنـا المبعـوث رحمـةً للعالمـين دليـل مكانتـه الإيمانيّة بما لا يدانيـه أقـلّ شـكّ.

٤- رسالةُ تَحَدٍّ في قالبِ شِعْر:

كان أبـو طالـب (طـاب ثـراه) شـاهدًا عـلى معجـزة رسـول الله ﷺ الباهـرة في أمـر الصحيفـة التـي كتبتْهـا قريش وقاطعـتْ فيها بني هاشـم ومَـن آمـن بدعـوة نبـيّ الاسـلام فـرأى أبـو طالـب كيـف قـد أكلتْهـا

الأُرْضة في جوف الكعبة المشرَّفة وأتلفتْ سطورها إلا لفظة الجلالة المقدّسة. فأنشد في هذه المعجزة مؤرِّخًا لها يقول:

وقد كان مِن أمر الصحيفةِ عِبرةٌ متى ما يُخبِر غائبُ القوم يَعْجَبِ
محا اللهُ منها كُفْرَهم وعقوقَهم وما نَطَقُوا مِن ناطقِ الحقِّ مُعْرِبِ
فأصبحَ ماقالوه فِي الأمرِ باطلاً ومَن يَختلِق ما ليس في الحقِّ يَكْذِبِ
وأمسى ابنُ عبدِالله فِينا مُصدَّقاً على سخطٍ مِن قَومِنا غيرِ مُتْعَبِ[٨٥]

٥- إنّه اسْتَجَارَني:

أسلَمَ أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، فأرادت قريش أن تعذّبه لِتصرَفه عن الإسلام ، فلجأ الى أبي طالب، فخلّصه من العذاب، فجاء وفدٌ من مخزوم الى أبي طالب وقالوا له: يا أبا طالب هَبْكَ مَنَعْتَ منّا ابن أخيك محمّداً، فما بالُك ولِصاحِبنا تَمْنَعْه منّا ؟

فأجابهم: إنّه اسْتَجَارَني...[٨٦]

هكذا هو موقف كلّ شريف.. وأبو طالب سيّد من السادة الشرفاء.

٦- فَكانَ مَا أراد:

عثمان بن مضعون كان من حكماء العرب في الجاهلية، أسلَمَ بعد ثلاثة عشر رجلًا وهاجَرَ الى الحبشة الهجرة الأولى، وشَهَدَ واقعة بَدْر ومات في السنة الثانية من الهجرة النبويّة الشريفة. كان عثمان بن مضعون يقف بباب الكعبة قبل الهجرة ويَعِظ الناس أن لا يعبدوا الأصنام، فَهَجَم عليه فِتْيةٌ من قريش وضربوه فوقعتْ ضربةُ أحدِهم على عينه ففقأتْها، وبَلَغَ هذا الخبر أبا طالب فَغَضِب غضباً شديداً وقام في أمره حتى أخذ بثأره، وكانوا قد أجمعوا الى أبي طالب وناشدوه أنْ يَدَعَها ويُدوِّن له الدّية، فَأقْسَم لهم "إنّي لا أرضىٰ حتى أقْلَعَ عينَ الذي قَلَعَ عينَه". فكان ما أراد.[٨٧]

٧- مروءةٌ هاشميّة و"دّبلوماسيّةٌ" طالبيّة:

بعد خروج عمرو بن العاص وصاحبِه الى بلاد الحبشة لِيَكيدا عند النجاشي مَلِك الحبشة ضدّ جعفر بن أبي طالب والمهاجرين المسلمين معه، أرسل أبو طالب أبيات شعرٍ إلى النجاشي يحثّه على إكرام جعفر وأصحابه:

ألا ليت شِعْري كيف في النَّأْي جعفر وعمرٌو وأعداءُ النّبيّ الأقارب
وهَل نَالَ إحسانُ النّجاشي جعفرًا وأصحابَه أم عَاقَ عن ذاك شَاغِب

أَتَعلَمْ أَبَيْتَ اللّعْن أنّك ماجدٌ كريمٌ فلا يَشقى اليْك المُجانِب
أَتَعلَمْ بأنّ اللهَ زادَك بَسْطةً وأفعال خيرٍ كلّها بِك لازِب[٨٨]

نقل العلّامة المجلسي (قدّس سرّه) يقول: "فلمّا بلغتِ الأبياتُ النجاشيَّ سُرّ بها سروراً عظيماً ولم يكن يطمع أنْ يمدحه أبو طالب بشعر، فزاد في إكرامهم وأكثر من إعظامهم، فلما عَلِمَ أبو طالب سرورَ النجاشي قال يدعوه إلى الإسلام ويحثُّه على اتِّباع النبيِّ عليه أفضل الصلاة والسلام:

أَتَعلَمْ مَلِيكُ الحَبْشِ أنّ محمّدًا نبيٌّ كمُوسى والمَسيح ابنِ مَريم
أتى بالهُدى مِثْلَ الذي أتَيَا به فكلٌّ بأمرِ الله يَهدي ويَعصِم
وإنّكُم تَتْلونَه في كِتابِكُم بِصِدْقِ حديثٍ لا حديثِ التّرَجُّم
فَلا تَجعَلوا لله نِدًّا فأسْلِمُوا فَإنّ طريقَ الحقّ لَيسَ بِمُظْلِم
وإنّك ما يَأتِيكَ مِنّا عِصابةٌ لِقَصدِك إلّا أُرْجِعُوا بِالتَّكَرُّم[٨٩]

بالله عليكم.. هل هذه المواقف تصدر عمّن لا يؤمن بالله وبرسوله وباليوم الآخر والدين الاسلامي الحنيف أم هي من المؤمنين حقًّا؟!

٨- ورسالةٌ إلى أخيه حمزة:

لأبي طالب رسالة بالشعر بعثها إلى أخيه حمزة (رضي الله عنهما) يُظهِر له سروره بإسلامه ويحثّه على مواجهة أعداء الرسول ﷺ بالصبر والعزم وأن يجاهر قريش بدخوله الإسلام ولا يبالي..

هذه أبياتها:

فَصَبرًا أَبَا يَعْلَىٰ عَلَى دِينِ أَحْمَدٍ ... وكُنْ مُظْهِراً لِلدِّينِ وُفِّقْتَ صَابرًا
نَبيٌّ أتى بِالحَقِّ مِنْ عِندِ رَبِّهِ ... بِصِدقٍ وَعَزمٍ لا تَكُنْ حَمْزَ كافِرًا
فَقَدْ سَرَّنِي إذْ قُلْتَ لَبَّيكَ مُؤمِنًا ... فَكُنْ لِرسُولِ الله فِي الله نَاصِرًا
ونَادِ قُرَيْشًا بالَّذِي قَدْ أَتَيْتَهُ ... جِهاراً وَقُلْ مَا كَانَ أَحمدُ سَاحِرًا[٩٠]

وأنشأ يقول كذلك:

ألا أبْلِغْ قريشاً حيثُ حَلّتْ ... وكلّ سرائرٍ منها غرورُ
فإنّي والضوابحَ عادياتٌ ... وما تَتْلُو السفاسرةُ الشُهورُ
فلستُ بقاطعٍ رَحْمي ووُلْدي ... ولو جَرّتْ مظالمُها الجرورُ
أنا لِمحمّدٍ راعٍ حفيظٍ ... ووُدّ الصَّدْرِ مِنّي والضميرُ
أيَأمرُ جَمْعُهم إفناءَ فِهْرٍ ... لِقتلِ مُحمّدٍ والأمرُ زورُ
فَلا وأبِيكَ لَا ظَفَرَتْ قُريشٌ ... ولا لَقِيَتْ رَشاداً إذ تُشيرُ
بُنَيَّ أخِي ونُوطُ القلبِ مِنّي ... وأبيضُ ماؤه غَدِقٌ كَثيرُ
ويشربُ بَعدَه الوِلْدانُ رَيّاً ... وأحمدُ قد تضمّنه القبورُ[٩١]

٩- وإلّا عَلَوْتُ رءوسَكُم بالسّيف:

جاء جماعةٌ من رؤساء قريش عند أبي طالب عليه السلام وعرضوا عليه أن يُسلّمَ لهم النبيّ ﷺ لتصفيتِه جَسديّاً ويعطوه عِوَض ذلك شابًّا اسمه عَمارة بن الوليد.. وهو شابٌّ كما قالوا مِن أنبل فتيان قريش، ومِن أصبَحِهم وَجْهًا!!

فَسَخَر منهم أبو طالب وصاح بهم: "والله ما أنْصفتُموني أيّها الحَمْقَى، تَبًّا لكُم وسُحْقًا!! أتريدون منّيَ أنْ أعطيَكم روحي ووُلْدِي لِتَقْتُلوه، وتُعطوني ابنكم أربّيه لكُم؟!

ما لكُم كيف تحكمون، أتَرجُون منّي أنْ أستبدِل مُحمّداً بِعَمارةِ بنِ الوليد؟! فَوَ الّذي نفسي بيدِه لو أعطيْتُموني العالَمَ كلّه لَمَا استبدلتُه بِظِفْرٍ مِن رِجْلِ مُحمّد، فإليكُم عنّي، لا تُكلِّموني، وإلّا عَلَوْتُ رءوسَكم بالسّيف".[٩٢]

ولعلّ في هذا الموقف كان أبو طالب أنشأ مخاطبًا النبيّ المصطفى قائلًا:

وَالله لَن يَصِلوا إِلَيكَ بِجَمْعِهِم ... حَتّى أُوَسَّدَ في التُّرابِ دَفِينا
فَاصْدَعْ بِأَمرِكَ ما عَلَيكَ غَضاضَةٌ ... وَابْشِرْ بِذاكَ وَ قَرَّ مِنهُ عُيونَا
وَدَعَوتَني وَزَعَمْتَ أَنَّكَ ناصِحٌ ... وَلَقَد صَدَقْتَ وَكُنتَ ثَمَّ أَمِينا
وَعَرَضْتَ دِينًا قَد عَلِمتُ بِأَنَّهُ ... مِن خَيرِ أَديانِ البَرِيَّةِ دِينَا[٩٣]

ثم وجّه الى أولئك الحمقى يقول:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ نُخْلِي مُحَمَّدًا وَلَمّا نُطَاعِنْ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ[٩٤]

كلمات تحتوي مضامين راقية في الايمان والعقيدة والاخلاق والحكمة والثبات والشجاعة.

١٠- خطبة الزواج.. بلاغةٌ ايمانيّة:

تَكَلَّم أبو طالب رضي الله عنه لخطبة زواج النبيّ محمد ﷺ من خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) بكلمات عبّر بها عن معتقداته الدينيّة وعن تاريخه الأسَريّ الذي يعتزّ به وعن شخصية ابن أخيه الرسول الأعظم.. قدّم في كلمات هذه الخطبة الرائعة شرف الانتماء ومبيِّنًا عظمة المُتقدِّم للزواج قائلًا: "الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ زَرْعِ إِبْرَاهِيمَ وَ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ، وَجَعَلَ لَنَا بَيْتًا مَحْجُوجًا، وَ حَرَمًا آمِنًا يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَ جَعَلَنَا الْحُكَّامَ عَلَى النَّاسِ فِي بَلَدِنَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ، ثُمَّ إِنَّ ابْنَ أَخِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا يُوزَنُ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا رَجَحَ، وَ لَا يُقَاسُ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا عَظُمَ عَنْهُ وَ إِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قَلٌّ، فَإِنَّ الْمَالَ رِزْقٌ حَائِلٌ وَ ظِلٌّ زَائِلٌ، وَلَهُ فِي خَدِيجَةَ رَغْبَةٌ وَلَهَا فِيهِ رَغْبَةٌ وَالصَّدَاقُ مَا سَأَلْتُمْ عَاجِلُهُ وَآجِلُهُ مِنْ مَالِي، وَ لَهُ خَطْرٌ عَظِيمٌ وَشَأْنٌ رَفِيعٌ وَلِسَانٌ شَافِعٌ جَسِيمٌ".

"فَزَوَّجَهُ وَ دَخَلَ بِهَا مِنَ الْغَدِ فَأَوَّلُ مَا حَمَلَتْ وَلَدَتْ عَبْدَ اللهِّ بْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ ".[٩٥]

١١- ومُحَمَّدٌ عندي الصّادقُ الأمين:

يقول أبو طالب عليه السلام:

"حدَّثني مُحَمَّد ﷺ أنَّ ربَّه بَعَثَه بِصِلة الرّحم وأنْ يَعبدَ اللهَ وحدَه ولا يَعبدَ معه غيرَه. ومُحَمَّدٌ عندي الصّادق الأمين".[٩٦]

ومن أشعاره بمناسبة المقام:

أَلَا أَبْلِغا عَنّي على ذاتِ بينِها لُؤْيًا وخُصّا مِن لُؤيٍّ بني كعبِ
ألَمْ تَعْلَموا إنّا وَجَدنا محمّدًا رَسُولاً كموسى خُطّ فِي أوّلِ الكُتْبِ
وأنّ عَلَيه في العِبادِ مَحَبّةً ولا حَيْفَ فِيمَن خَصَّه اللهُ بالحُبِّ[٩٧]

١٢- يوصي بالرسول الأعظم من بعده:

توعَّدتْ قريشٌ النبيَّ ﷺ بالقتل بعد ما يموت عمُّه. فَبَلَغ ذلك أبا طالب، فَجَمَع بني هاشم وأحلافَهم من قريش، فأوصاهم برسول الله ﷺ، وقال: "إنَّ ابنَ أخي كما يقول، أخْبَرَنا بذلك آباؤنا وعلماؤنا، إنَّ مُحَمَّداً نبيٌّ صادقٌ وأمينٌ ناطق، وإنّ شأنَه أعظمُ شأن،

ومكانَه مِن ربِّه أعلى مكان، فأجِيبوا دَعْوتَه، واجْتمِعوا على نُصرتِه، ورامُوا عَدوَّه مِن وراءِ حوزتِه، فإنَّه الشّرفُ البَاقي لكُم الدّهْر".[٩٨]

"إنَّ ابنَ أخي كما يقول..." هذه جملة خبريّة.. يخبر بها أبو طالب عن الحقيقة المحسومة.. فابن أخيه محمد بن عبدالله كما يقول هو عن نفسه وهو الصادق الأمين ولا نقاش في ذلك. أ فَهِمْتُم؟

وأنشأ يقول (رضوان الله عليه):

أوصِي بِنَصْرِ النَبِيِّ الخَيرِ مُشهِدَهُ عَلِيّاً اِبني وَعَمَّ الخَيرِ عَبّاسا
وَحَمزَةَ الأَسَدَ المَخشِيَّ صَولَتُهُ وَجَعفَرًا أَنْ تَذودُوا دونَهُ النّاسا
وَهاشِمًا كُلَّها أُوصِي بِنُصرَتِهِ أَنْ يأخُذوا دُونَ حَرْبِ القَوْمِ أَمْراسا
كُونُوا فِدىً لَكُم نَفْسِي وَمَا وُلِدَت مِن دُونِ أَحمَدَ عِندَ الرَّوْعِ أَتراسا
بِكُلِّ أَبيَضَ مَصْقُولٍ عَوارِضُهُ تَخالُهُ فِي سَوادِ اللَّيْلِ مِقْباسا[٩٩]

١٣- يا بُنيَّ إلْزَمْ ابنَ عمِّك:

كان أبو طالب رَحِمَهُ اللهُ يحثُّ إبنَه عليّاً على نَصْر النبيِّ (صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسَلَّمَ) ويَحضُّه عند كلّ موقفٍ ومناسبة. ومنها قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (قال لي يا بُنيَّ إلْزَمْ ابنَ عمِّك تَسْلَمْ بهِ مِن كلِّ بأسٍ عاجِلٍ وآجِل. ثُمَّ قال لي:

إنَّ الوثيقةَ فِي لُزومِ مُحَمَّدٍ فاشْدُدْ بِصُحبتِهِ عليُّ يَدَيْكا[١٠٠]

١٤- البسالة.. صمودٌ وكياسة:

في محنة ما عُرِفَ بِـ "شِعْب أبي طالب" أيّام الحِصار على المسلمين حيث ألّمّتْ بهم الآلامُ والأحزان وطغى عليهم الضعفُ من شدّة الجوع خرج أبو طالب مَتقلِّداً سيفَه مُستأسِداً مُغضِباً وحَفَّ بِه بعضُ أشبالِه مِن بني عبد المطّلب ودخل البيتَ الحرام وقد هال الناسَ استبسالُه فصاح بهم:

أَلا مَن لِهَمٍّ آخِرَ اللَيلِ مُعْتِمِ ... طَواني وَأُخرى النَّجمِ لَمّا تَقَحَّمِ
طَواني وَقَد نامَتْ عُيونٌ كَثيرَةٌ ... وَسامِرُ أُخرى قاعِدٌ لَم يُنَوّمِ
لِأَحامِ قَومٍ قَد أَرادوا مُحَمَّدًا ... بِظُلمٍ وَمَن لا يَتَّقي الظُلمَ يُظلَمِ
سَعَوا سَفَهاً وَاقتادَهُم سوءُ أَمرِهِم ... عَلى فائِلٍ مِن أَمرِهِم غَيرِ مُحكَمِ
رجاةَ أُمورٍ لَم يَنالوا نِظامَها ... وَإِنْ نَشَدوا فِي كُلِّ بَدْوٍ وَمَوسِمِ
تُرَجّونَ مِنّا خُطَّةً دونَ نيلِها ... ضِرابٌ وَطَعنٌ بِالوَشيجِ المُقَوَّمِ
تُرَجّونَ أَن نَسخىٰ بِقَتلِ مُحَمَّدٍ ... وَلَم تَختَضِب سُمْرُ العَوالي مِنَ الدَّمِ
كَذَبتُم وَبَيتِ اللهِ حَتّى تَعَرَّفوا ... جَماجِمَ تُلقىٰ بِالحَطيمِ وَزَمزَمِ
وَتُقطَعَ أَرحامٌ وَتَنسىٰ حَليلَةٌ ... حَليلاً وَيُفشىٰ مَحرَمٌ بَعدَ مَحرَمِ
وَيَنهَضَ قَومٌ فِي الحَديدِ إِلَيكُمُ ... يَذُبّونَ عَن أَحسابِهِم كُلَّ مُجرِمِ
وَظُلْمُ نَبِيٍّ جاءَ يَدعو إِلى الهُدى ... وَأَمرٌ أَتىٰ مِن عِندِ ذي العَرشِ قَيِّمِ
هُمُ الأُسْدُ أُسدُ الزارَتَينِ إِذا غَدَت ... عَلى حَنَقٍ لَم يُخشَ إِعلامُ مُعلِمِ

فَيا لِبَني فِهْرٍ أَفيقوا وَلَم تَقُم نَوائِحُ قَتلىٰ تَدَّعي بِالتَنَدُّمِ
عَلى ما مَضى مِن بَغيِكُم وَعُقوقِكُم وَغِشيانِكُم مِن أَمرِنا كُلَّ مَأثَمِ
فَلا تَحسِبونا مُسلِّميهِ وَمِثلُهُ إِذا كانَ في قَومٍ فَلَيسَ بِمُسلَمِ
فَهَذي مَعاذيرٌ وَتَقْدِمَةٌ لَكُم لِكَي لا تَكونَ الحَربُ قَبلَ التَقَدُّمِ

ثم دخل أبو طالب الكعبة وتَعَلَّق بها فدعا الله عزّ وجل وسأله النّصرَ والتأييد للإسلام ونبيِّه ثم قال مُخاطِباً قريش:

ومَا ذنبُ مَن يَدعُو إلى الله وحدِه ودينٍ قويمٍ أهلُه غيرُ خُيّبِ
وقد جَرّبوا فِيما مَضىٰ غُبَّ أمرِهم وما عالِمٌ أمْراً كَمَن لم يُجرِّبِ
فلا تحسبونا مُسلِّمينَ محمّدًا لِذي غربةٍ منّا ومِن متقرّبِ
ستَمْنَعُه مِنّا يٌ هاشميّةٌ فَمَرْكَبُهافِيالنّاسِمِنخَيرِمَرْكَبِ[١٠١]

هذا الموقف وهذه الأشعار فيها من الدلالة الكافية على صلابة أبي طالب في الدفاع عن الرسول الأعظم ﷺ وهو المفهوم من جميع مواقفه الشامخة وأشعاره الهادية.

كل هذه الأفعال والأقوال من أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ يُعبِّر بها عن معتقداته الحقّة، فهو في هذا المقام مصداق للحديث النبويّ الشريف الذي رواه جماعة من علمائنا في كتب الفقه الاستدلالي في باب الاقرار القضائي بأنّه (صلى الله عليه وآله) قال: (إقرارُ العُقَلاءِ عَلَى أنفُسِهِم جَائِز). وجعل بعض الفقهاء هذه القاعدة الفقهية موازيةً لقاعدة:

"النـاسُ مُسَـلَّطونَ عـلى أموالِهم وأنفسِـهم". وقاعـدة: "مَن مَلَـكَ الشيءَ مَلَكَ الإقـرارَ به".

فرجلٌ عاقلٌ حكيمٌ حُـرٌّ أبـيٌّ شـجاعٌ مثل أبي طالب ابن عبدالمطلب قـال عـن نفسـه كل تلـك الأقـوال وطبّقهـا في أفعالـه مـرارًا وجهـارًا.. أليـس هـذا الرجـل تشـمله تلـك القاعـدة الفقهية المسـتقاة مـن الحديث المذكـور وغيره مـن الأحاديـث القريبـة اليه؟!

بلىٰ إنه كذلك والله.

فالإقـرار تحـت ظـرف الارادة والحرّيـة وعـدم الخـوف هـو اعـتراف مشروع ويعتمده كل المسـلمين (شـيعةً وسـنّة) كـسيرةٍ عقلائيّة لا رجعة منهـا. ولذلـك بعـض الفقهـاء عـبّر بـدلاً عـن كلمـة "جائـز" بكلمـة "نافـذ".

الفصل الرابع

*** روايات ودلالات**

*** قبسٌ مما قالـه المعصومون عليهم السلام في مكانة أبي طالب رحمه الله:**

- **التمهيد:**

كان النبـيّ الكريم ﷺ قبل بعـثـته يُشـتَهَر بلقـب "الصَّادِق الْأَمِين".. وكان لا يأبـى الجاهليّـون مـن اطلاقـه عليه لأنهـم كانوا يرونـه "صادق" القـول "أمـين" الفعـل.. وكيـف يتخلّى عـن صدقـه وأمانتـه بعد بعـثـته الشريفـة وقـد أضيفـتْ مـبرّرات جديـدة للاسـتقامة عـلى صـفـتَـيْه النبيلتَـيْن.. كونـه قـد اصطفـاه الله نبيًّـا رسـولًا.. إذ قـال الله تعـالى: ﴿**مَا ضَـلَّ صَاحِبُكُـمْ وَمَـا غَـوَىٰ * وَمَـا يَنطِقُ عَـنِ الْهَـوَىٰ * إِنْ هُـوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَـىٰ * عَلَّمَـهُ شَـدِيدُ الْقُـوَىٰ... فَأَوْحَـىٰ إِلَىٰ عَبْـدِهِ مَـا أَوْحَـىٰ * مَـا كَذَبَ الْفُـؤَادُ مَـا رَأَىٰ**﴾.[١٠٢]

نعـم.. ومـاذا لـو قلنا أنّ هـذا النبـيّ الصـادق والرسـول الأمين ﷺ قـد شَـهَدَ بإيـمان عمّـه أبي طالـب (رضـوان الله عليـه) وسـلامة دينـه ونزاهـة مقاصـده وأنّـه طلـب لـه المغفـرة والشـفاعة جـزاءً لـه عـلى مـا ضحّـى لأجلـه في الفـترة التـي كَـفَـلَه وحامـاه ونَـصَرَه وآواه؟!

لقـد كان عمّـه أبـو طالـب الـوفيّ البطـل الشّـهْم في منزلـةٍ جعلتْه ﷺ يربـط وفاتـه بتغـيُّـر ميـزان القـوى في الـصراع بينـه وبين أعدائـه فقال: (مَـا نَالتْني قريشٌ شَـيْئاً أكْـرَهُه حَتّـى مَاتَ أبُو طالِـب).[١٠٣] كان رحيله عـن السـاحة بدرجةٍ من الخطـورة على حياتـه ﷺ وعلى مسـتوى مقاومة

المسلمين في مكّة ومستقبل الاسلام بحيث نزل عليه جبرائيل بأمر الله تعالى يقول له: (أخْرُجْ مِن مكّة فَقَد مَاتَ نَاصِرُك).[١٠٤] وهذه شهادة أخرى من الله لأبي طالب الذي انطبقتْ عليه الآيةُ القائلة: **﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾**.[١٠٥]

بالتأكيد مَن يكون هذا أثره في مقدّمات الانتصار الاسلامي الكبير لا يكون إلا ذو مكانةٍ عالية فيها وذو فضلٍ لن يُنسى.

بهذا التمهيد سندخل في الفصل الأخير من البحث.. وقد خصّصناه لمجموعة روايات مأثورة عن رسول الله محمد الامين وأوصيائه الأئمة الأمناء الصادقين (عليه وعليهم صلوات ربّ العالمين) مع العلم أنّ العقل الفطري والشرعي والعلمي من جهة والعُرْف الاجتماعي من جهة أخرى يقضيان بصحة المقولة المعروفة: "أهل البيت أدرىٰ بما فيه"، فكيف بأهل بيت الرسول الأعظم وهم المعصومون الذين لا رادّ لأقوالهم في ظلّ هذا الأمر القرآنيّ الخالد: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾**.[١٠٦]

فلنقرأ إذن ما قدّمه وقدّموه (صلوات الله عليه وعليهم اجمعين) من شهادات في فضل أبي طالب ليعرف المسلمون مكانة هذا المؤمن الساعي في ذلك الزمن الصّعب معرفةً يجلّونه بها ويعظّمونه ويدعون له:

١- كافِلُ اليَتِيم في الجنّة:

قال رسول الله ﷺ: (أنَا وكافِلُ اليَتِيم كَهَاتَيْن في الجنّة) وأشار بأصبعَيْه وقَرَنَ بينهما.[١٠٧]

والمصداق البارز والأجلى للإيواء ولمن كفله هو ﷺ هو اثنان جدّه عبدالمطلب وعمّه أبو طالب (رفع الله درجاتهما).

٢- يَرجو له الخَيرَ مِن الله:

أخرج ابنُ سعد وابنُ عساكر عن ابن عبّاس أنه سأل رسول الله ﷺ: مَا تَرْجُو لِأبي طالِب؟ قال: (كُلَّ الخَيْرِ أرْجُو مِنْ رَبّي).[١٠٨]

٣- يَترحَّم عليه ويَستغفِر له:

عن الإمام علي عليه السلام قال: (أخْبرتُ رسولَ الله ﷺ بموتِ أبي طالب عليه السلام فبكىٰ ثمّ قال: إذهبْ فاغْسِلْه وكَفِّنْه ووَارِه. غَفَرَ اللهُ لَه ورَحِمَه).[١٠٩]

طَلَبُ المغفرة والرحمة من الله لأبي طالب ومن لسان محمّد رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) يحمل مزيدًا من الأدلة على شخصيّة أبي طالب الإيمانيّة ودوره في مرحلة النهوض بأعباء المسئوليّة الثقيلة في تلك المرحلة الصعبة من زمن الصراع بين الاسلام والجاهليّة. والأهم هو أنّه (صلَّى الله عليه وآله) أمَرَ بتغسيله وتكفينه، وهذا ما فرضه الله تعالى تطهيرًا وإكرامًا للمسلمين دون غيرهم.

٤- يجزع عند موته:

لّما قيل لرسول الله ﷺ: إنّ أبا طالب قد مَاتَ عَظُم ذلك في قلبه، واشتدّ له جزعُه، ثم دخل عليه فمَسَح جبينه الأيمن أربع مرّات، وجبينه الأيسر ثلاث مرّات، ثم قال: (يا عَمّ رَبّيتَ صغيرًا، وكَفلتَ يتيمًا، ونَصَرتَ كبيرًا، فجزاك اللهُ عنّي خيرًا). ومشى بين يدَيْ سريره، وجعل يَعرِضُه، ويقول:(وصِلَتُكَ رَحِمٌ وجُزيتَ خَيْرًا).[١١٠]

لقد تحدّث ﷺ في هذا الموقف عن ثلاث مراحل عاشها في ظلّ عمّه: صغيرًا ويتيمًا وكبيرًا وكيف كانت صِلَة عمّه به في كلّ مرحلة من هذه المراحل الأساسيّة من عمر الإنسان. وهو يدعو الله لعمّه بالخير إنما تجسيدًا لمفهوم الشكر والامتنان له رَحِمَهُ اللهُ على أتعابه الفريدة من نوعها وليعلّم شريحةً من المسلمين مفهوم الأدب تجاه عمّه!!

٥- يُرثِي فِي وفاتِه:

أخذ النبيّ ﷺ وهو على قبر عمّه يرثيه قائلًا: (وَا أَبَتَاه، وَا أَبَا طَالِباه، وَا حُزْنَاهُ عَلَيْك، يا عَمّاه كَيْف أَسْلُو عَنْك يَا مَن ربَّيْتَني صَغِيراً، وأَجَبْتَني كَبِيراً، وكُنتُ عِندَك بِمنزلةِ العَيْن مِن الحَدَقَة والرُّوحِ مِن الجَسَد).[١١١]

كلمات عميقة المعاني وشديدة الأحاسيس قالها الرسول الأعظم ﷺ وهو يحترق حزنًا على فراق عمّه أبي طالب عليه السلام وما أصابه من ضيقٍ وأذى وظلمّ بسبب وقوفه معه وصموده في تلك المراحل وهو ﷺ يشهد لعمّه بحُسْن رعايته له. هذا الرثاء النّبويّ من أروع المراثي على لسان أصدق رجلٍ على وجه الأرض.

٦- سَيَشفَع لَه يومَ القيامة:

وقف الرسول الأعظم ﷺ أمام مُشيِّعي جنازة أبي طالب (عليه الرحمة) ليعلن لهم وللأجيال من بعدهم بقوله: (أَمَ واللهَّ لأَستغْفِرنَّ لَكَ ولأَشْفَعَنَّ فِيكَ شَفاعةً يَعْجَبُ لَها الثَّقَلان).[١١٢]

وفي لفظٍ عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ: (إذَا كانَ يَومُ القِيامَة شَفَعْتُ لِأبي، وأمّي، وعمّي أبي طالب، وأخٍ لِي فِي الجاهِليّة).[١١٣]

أخوه في الجاهلية.. قيل هو ابن مرضعته حليمة السعديّة.. أخوه بالرضاعة كما ورد عن بعض أهل السِّيَر.

٧- شبيهُ أصحابِ الكَهْف:

نزل جبرائيل عليه السلام على النبيّ ﷺ فقال: (يَا محمّد إنّ ربَّك يُقرِئُك السّلامَ ويقول لك: ..... إنّ أصحابَ الكهف أسرّوا الإيمان وأظْهَروا الشّرك فآتاهم اللهُ أجرَهم مرّتين وأنّ أبا طالب أسَرَّ الإيمانَ وأظْهَرَ الشّرك فآتاه اللهُ أجرَه مرّتين وما خَرَجَ من الدّنيا حتّى أتتْه البشارةُ من الله تعالى بالجنّة).[١١٤]

ماذا تعني هذه المقارنة العجيبة بين قصة أصحاب الكهف (رضوان الله تعالى عليهم) وبين قصة أبي طالب (رضوان الله تعالى عليه)؟!

هذا بابٌ من أبواب المعرفة يدعونا جبرئيل عليه السلام على لسان رسول الله ﷺ إلى الإيمان بإيمان أبي طالب وبحكمته وبزهده وبعزمه وبجهاده وبوفائه وبنجاحه في جميع مراحل الامتحان الالهي الذي مرّ به كما كان الحال بالنسبة لأصحاب الكهف.

٨- يَأتي يَومَ الحشرِ بِزَيِّ المُلُوك:

عن النبيّ الكريم ﷺ قال: (يُحشَر أبو طَالِب يَومَ القِيامَة فِي زَيِّ المُلُوك وسِيماءِ الأنبِياء).[١١٥]

٩- صُلْب النبوّة وصُلْب الإمامة:

قال رسول الله ﷺ: (يَا عليّ خَلَقَني اللهُ وخَلَقَك مِن نورِه فلمّا خَلَقَ آدم عليه السلام أوْدَعَ ذلك فِي صُلْبه، ثم نَزَلَ أنَا وأنت شيئًا واحدًا، ثُم افْتَرَقْنا فِي صُلْب عَبدِ المطّلب، ففيَّ النبوّةِ والرّسالة، وفيك الوصيّة والامامة. قال عزّ وجل ﴿**وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ**﴾.[١١٦]

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (خُلِقتُ أنا وعليٌّ مِن نورٍ واحد يُسبِّح اللهُ عزّ وجل فِي مَيْمَنةِ العرش قبل خَلْق الدّنيا، ولقد سَكَنَ آدم فِي الجنّة، ونَحْن في صُلْبه، ولقد رَكَّبَ نوحٌ السّفينةَ ونَحْن فِي صُلْبه ولقد قَذَفَ إبراهيمُ فِي النّار ونَحْن فِي صُلْبه، فلم يَزَل يَنقلُنا اللهُ عزّ وجل مِن أصْلابٍ طاهِرة حتّى إنتهىٰ بِنا إلى صُلْب عبد المطّلب، فَجَعَل ذلك النّور بِنصفَيْن فَجَعَلني فِي صُلْب عبد الله، وجَعَلَ عليًّا فِي صُلْب أبِي طالِب).[١١٧]

وإلى هذا أشار الإمام الصادق عليه السلام كما رواه المفضَّل بن عمر قائلًا: سمعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول: (لمّا وُلد رسول الله صلى الله عليه وآله فُتِحَ لِآمِنَة بَيَاضُ فَارْس وقُصُورُ الشّام، فَجَاءَتْ فَاطِمةُ بِنْتُ أَسَد أمُّ أمِيرِ المُؤمِنين إلَى أبِي طَالِب ضَاحِكَةً مُستَبْشِرةً ، فَأعْلَمَتْه مَا قَالتْ آمِنَة. فقال لها أبو طالب: وَتَتَعجَّبِينَ مِن هَذا، إنَّكِ تَحْبِلِينَ وتَلِدِينَ بِوَصيِّه وَوَزِيرِه).[١١٨]

تدلّ هذه الرواية بنصّها الواضح على أنّ أبا طالب عليه السلام كان مُلهَمًا بالوحي على طريقة ما كان يوحي الله عزّ وجل إلى المخلصين والمخلصات.. كما في قوله تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.[١١٩]

١٠- عبادة توحيديّة بالوراثة الابراهيميّة:

قال الإمام علي عليه السلام: (والله ما عَبَدَ أبِي ولا جَدّي عبد المطّلب ولا هاشِم ولا عبدُ مناف صَنَمًا قَطّ).

قيل له فما كانوا يعبدون؟

قال: (كَانُوا يُصلّونَ الى البيتِ عَلَى دينِ ابْراهَيمِ عليه السلام مُتمَسّكِين بِه).[١٢٠]

وَقال عليه السلام: (كَانَ وَالله أَبُو طَالِبٍ عَبْدُ مُنَافٍ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ مُؤْمِنًا مُسْلِمًا، يَكْتُمُ إيمَانَهُ مَخَافَةً عَلَى بَني هَاشِمٍ أَنْ تَنَابِذَهَا قُرَيْشٌ).[١٢١]

ما أقوىٰ هذه الأقوال في عظمة أبي طالب.. وما أجهل الذين افتروا عليه!!

يا للأسف...

١١- تخليد شِعْر أبي طالب:

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (كانَ أميرُ المؤمنين يُعجِبُه أنْ يُروىٰ شِعرُ أبي طالب عليه السلام وأن يُدوَّن وقال: تَعَلّمُوه وعَلِّمُوه أوْلادَكُم فإنّه كانَ على دينِ اللهِ وفِيه عِلْمٌ كَثِير).[١٢٢]

نعم.. أن يُعجِبَ رجلًا كالإمام علي عليه السلام شعرُ أبي طالب رحمه الله ويدعو إلى تَعَلُّمه وتعليمه وتدوينه فذلك يعني أنّ محتوى تلك الأشعار متوافقٌ مع المفاهيم الإسلامية، وإلا فالإمام المعصوم لا يدعو إلى تخليد مفاهيم الجاهلية.

إننا نقرأ في هذه الدعوة من الإمام علي بن أبي طالب التي ينقلها حفيده الإمام الصادق عليه السلام المغزىٰ العميق لأفكار أبي طالب التي حملتْها إلينا أشعارُه.. وهذا ما لا يبحر في عمقه إلا ذوو البصيرة.

١٢- نور أبي طالب في يوم القيامة:

قال الإمام علي عليه السلام: (والّذي بعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ إنَّ نُورَ أبي طالِب يَومَ القِيامَة لَيُطفِئُ أنْوارَ الخَلْق إلّا خمْسةَ أنْوار: نُورَ مُحَمّدٍ صلى الله عليه وآله، ونُوري، ونُورَ فَاطِمة، ونُورَ الحَسَن والحُسَين، ونُورَ وُلْدِهِ مِن الأئمّة، أَلَا إنَّ نُورَهُ مِن نُورِنا، خَلَقَهُ اللهُ مِن قبْل خَلْق آدَم بِألْفَيْ عَام).[١٢٣]

يا لها من بشائر لا يبلغ وعيها الصادق إلا من يمتلك الأذن الصاغية حين القراءة حول شخصية أبي طالب.

١٣- حُبٌّ لِأجل حُبٍّ:

قال الإمام علي عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله: (إنّك لَتُحِبّ عَقِيلاً. قال: إي والله إنّي لَأحِبُّه حُبَّيْن، حُبًّا لَه، وحُبًّا لِحُبّ أبِي طالِب لَه، وإنّ وَلَدَه لَمَقْتُولٌ فِي مَحبّة وَلَدِك...).[١٢٤]

بكلّ يقين لا يحبّ رسول الله ﷺ أعداء الله سبحانه.

وهنا يتنبّأ ﷺ أيضًا بالغيب فيخبر عن استشهاد مسلم بن عقيل حفيد أبي طالب في حُبّ سبطه الإمام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام. بهذا الكلام فقد أراد ﷺ أن يثبت الترابط الأسريّ بينه وبين أبي طالب المبنيّ على الحُبّ النابع من وحدة العقيدة وروح الفداء.

١٤- مات مسلمًا مؤمنًا:

عن أبي بصير عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (مَاتَ أَبُو طالِب بن عبد المطّلب مُسلِمًا مُؤمِنًا).[١٢٥]

أللهم اشْهَدْ إنّا مؤمنون...

١٥- رثاء علي عليه السلام لأبيه:

أَبَا طالِبٍ عِصْمَةُ الْمُستَجيرِ وَغَيْثُ المَحُولُ وَنُورُ الظُلَم
لَقَد هَدَّ فَقْدُكَ أَهلَ الحِفاظِ فَصَلى عَلَيكَ وَلِيُّ النِّعَم
وَلَقَّاكَ رَبُّكَ رِضوانَهُ فَقَد كُنتَ لِلمُصطَفى خَيرَ عَمّ[١٢٦]

١٦- وا عَجَباه:

سُئِلَ الإمام زين العابدين عليه السلام عن إيمان أبي طالب (رضوان الله عليه)؟ فقال: (وا عَجَباه؟ أتطعِنُون عَلى أبي طَالِب أو عَلى رَسُولِ الله؟ وإنّ اللهَ تعالى نَهىٰ رسولَ الله أنْ يُقِرّ مسلمةً على نكاحِ كافِرٍ في غَيرِ آيةٍ مِن القُرآن وقَد كانَت فَاطِمةُ بنتِ أسَد مِن المُؤمِناتِ السّابِقات إلى الإسْلام ولا يَشُكّ أحَدٌ في ذلِك ولَمْ تَزَلْ تَحتَ أبِي طالِب إلى أنْ مُات).[١٢٧]

١٧- الحجّ نيابةً عن أبي طالب:

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

(ألَمْ تَعْلَمُوا أنّ أميرَ المُؤمِنينَ عليّاً عليه السلام كانَ يأمُرُ أنْ يُحَجَّ عن عبدِالله والدِ الرسول صلى الله عليه وآله وآمِنة والدتِه وأبي طالِب في حياتِه، ثم أوْصىٰ فِي وصيّتِه بالحَجّ عَنهُم). وفي نصٍّ آخر يحلف الإمام الباقر عليه السلام على ذلك ويقول: (كَانَ وَ اللهِّ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ يَأْمُرُ أَنْ يُحَجَّ عن أبي طالب فِي حَيَاتِهِ).[١٢٨]

وهل تجوز نيابة الحجّ عن غير المسلم؟! كلّا.. بكلّ تأكيد. إذن فهذا دليلٌ إضافيٌّ في البُعد الفقهي على اسلام أبي طالب. وتفيد

النيابة أيضًا عن عمّه عبدالله والد النبيّ الأكرم وعن آمنة والدته ﷺ بأن هؤلاء مسلمون بالدين التوحيدي لجدّهم ابراهيم الخليل عليه السلام منذ ما قبل ظهور بعثة النبي محمد ﷺ. هذه الرواية تنسف الافتراءات المثارة أيضًا ضدّ والد النبيّ الأكرم ووالدته كما نسفتْ ضدّ عمّه أبي طالب. هكذا علّمنا أئمتنا الأطهار من آل نبيّنا المختار كيف ندافع عن المظلومين في التاريخ.

١٨- الرضا لرسول الله:

قال الإمام علي عليه السلام: (مَا مَاتَ أَبُو طالِب حتّى أعْطىٰ رَسولَ الله ﷺ مِن نَفسِه الرّضّا).[١٢٩]

رجلٌ مثل عليّ بن أبي طالب الذي نزلتْ في فضائله آياتٍ كثيرة واتفق المسلمون على شأن نزولها فيه.. وعليٌّ هذا الذي قال عنه رسول الله ﷺ: (عليٌّ مَعَ الحَقّ والحَقّ مَعَ عليّ يَدُورُ مَعَهُ حَيثُ دَار، لَنْ يَفْتَرِقَا حتّى يَرِدُا عليَّ الحَوْض).[١٣٠]

عليٌّ هذا هل من المعقول أن يشهد لإيمان أبيه أبي طالب بالباطل؟!

حاشاه.. وألف حاشا...

١٩- وحَسُنَ أولئِك رفيقًا:

روىٰ يونس بـن نباتة أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال له:

"يَـا يُونُـسُ مَـا يَقُـولُ النَّـاسُ فِي إِيـمَانِ أَبِي طَالِـبٍ؟ قُلْـتُ: جُعِلْـتُ فِـدَاكَ يَقُولُـونَ هُـوَ فِي ضَحْضَـاحٍ مِـنْ نَـارٍ يَغْلِي مِنْهَـا أُمُّ رَأْسِـهِ! فَقَـالَ: كَـذَبَ أَعْـدَاءُ اللهَّ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ مِـنْ رُفَقَـاءِ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّـهَداءِ وَالصَّالِحِـينَ وَحَسُـنَ أُولئِـكَ رَفِيقًـا".[١٣١]

يظهـر مـن هـذا الحديـث أنّ الاشـاعات كانـت تنـال مـن هـذه الشـخصيّة الإيمانيّـة الجهاديّـة الوفيّـة المُضحِّيـة وبشـدّةٍ منـذ تلـك الفترة ممـا جعـل الإمـام المعصـوم مولانـا الرضـا عليه السلام يسـأل عـمّا يقولـه النـاس لـيردّ عليهـم لأن السـكوت عـن الباطـل حـرام والتفـرّج هنا من الموبقـات!

٢٠- كفّة ميزان أبي طالب هي الأرْجَح:

قـال الإمـام الصـادق عليه السلام: (وَاللهَّ إِنّ إِيـمَانَ أَبِي طَالِـبٍ لَـوْ وُضِعَ فِي كِفَّـةِ مِيـزَانٍ وَ إِيـمَانُ هَـذَا الخَلْـقِ فِي كِفَّـةِ مِيـزَانٍ لَرَجَـحَ إِيـمَانُ أَبِي طَالِـبٍ عَـلَى إِيمَانِهِم).[١٣٢]

كيـف لا وهو قد جاهَــرَ بإيمانه وارتجىٰ من الله الجنان قائلًا:

يا شاهِدَ اللهَ عَلَيَّ فَاشهَدِ أَنّي عَلى دينِ النَبِيِّ أَحمَدِ
مَن شَكَّ فِي الدّينِ فَإِنّي مُهتَدِ يا رَبِّ فَاجْعَلْ فِي الجِنَانِ مَوْرِدِي[١٣٣]

٢١- الاستدلال بالآثار:

عن أبي بصير عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال: (مَاتَ أَبُو طَالِب بن عبد المطّلب مُسلِمًا مُؤمِنًا وشِعرُه فِي ديوانِه يَدُلّ على إيمانِه ثم محبّتِه وتَربيتِه ونُصرتِه ومُعاداتِه أعداءَ رَسولِ الله ومُوالاتِه أوْليائَه وتَصديقَه إيّاه فِيمَا جَاء بِه مِن ربِّه وأمْرِه لِولَدَيْه عليٍّ وجَعفَر بأنْ يُسْلِما ويُؤمِنا بِما يَدعُو إليْه وأنّه خيرُ الخَلْق وأنّه يَدعُو إلى الحقّ والمِنْهاجِ المُستقِيم وأنّه رَسولُ ربِّ العَالَمين فَثبَتَ ذلك في قَلْبَيْهما فَحِين دَعاهُما رَسولُ الله أجَابَاه في الحال وما تَلْبَثا لِما قرّره أبوهُما عندهما مِن أمرِه، فَكانَا يَتأمّلانِ فِعَالَ رسولِ الله ﷺ فَيَجدِانها كلّها حسنة تَدعو إلى سَدادٍ ورَشاد).[١٣٤]

ومن شعره (رحمه الله) في هذا الأمر:

إنّ عَليّاً وجَعْفَراً ثِقَتي عِنْد مُلِمّ الزّمَان والنُّوَبِ
لا تَخْذُلا وانُصرا ابنَ عَمِّكُما أخِي لِأمّي مِن بَيْنَهم وأبي
واللهِ لا أخْذُل النّبيّ ولا يَخْذُلْه مِن بَنِيّ ذُو حَسَب[١٣٥]

هكـذا تكون التربية الصالحة عندما تكـون بتوجيه الأب الصالح...

بهـذه الآثـار التي اسـتدلّ بهـا الإمـام الباقر عليه السلام مـن أداء أبي طالب رحمه الله تجاه رسـول الإسـلام العظيم صلى الله عليه وآله علّمنا المعصوم منهـج الاسـتنتاج العلمـي في تقييم الشـخصيات. فهـل نتعلّم؟!

٢٢- رسالةٌ خطيرة:

قـال أَبَـانُ بْنُ مُحَمَّـدٍ: كَتَبْـتُ إِلَى الإِمَامِ الرِّضَا عَـلِيِّ بْنِ مُوسَـى جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدْ شَكَـكْتُ فِي إِيـمَانِ أَبِي طَالِبٍ؟!

قَـالَ فَكَتَـبَ عليه السلام: (بِسْـمِ اللهَّ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيـمِ أَمَّـا بَعْـدُ فَمَـنْ يَتَّبِـعْ غَـيْرَ سَـبِيلِ الْمُؤْمِنِـينَ نُوَلِّـهِ ما تَوَلَّىٰ إِنَّـكَ إِنْ لَمْ تُـقِـرَّ بِإِيـمَانِ أَبِي طَالِبٍ كَانَ مَصِـيرُكَ إِلَى النَّـارِ).[١٣٦]

هـذه الرسـالة خطيرةٌ جدًّا وحاسـمة في الموقف ممن يـرى في أبي طالب غـير ما يـراه الله ورسـوله وأهل البيـت.. وهذا كتـاب الله يقـول: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِـكَ لَذِكْـرَىٰ لِمَن كَانَ لَـهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّـمْعَ وَهُوَ شَـهِيدٌ**﴾.[١٣٧]

(خاتمة بتوصيات مهمَّة)

نختم هذا البحث بطرح ثمانية توصيات تصبّ في مسار الإحياء لشخصيّة أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ وفيها دعوةٌ الى استنساخ دوره البطوليّ الرائد من أجل إرساء ثقافة الدفاع عن المظلوم في وجدان الأمة كما علّمنا أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وقد ورد في دعاء الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (اللّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ مَظْلُومٍ ظُلِمَ بِحَضْرَتِي فَلَمْ انَصُرْهُ).[١٣٨]

فحماية الحقّ والدفاع عن أهله واجبان شرعيّان في منهاج الإسلام حيث لاتزال الجاهلية لم تندثر بعدُ.. ولايزال التأسّي برجل مثل أبي طالب (رضوان الله عليه) فريضةً لحماية اسلام الرسول الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إن كنّا نريد السعي مثله على ضوء هذه الآية الكريمة: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ * وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ**﴾.[١٣٩]

فهذه التوصيات الثمانية نطرحها من منطلق الواجب الديني والإنساني في توعية الأمّة الاسلامية بحقائق التاريخ الإسلامي.. وهي من ثمار ما قدّمناه في هذا البحث.. فنقول:

• التوصية الأولى:

يجب بيان دور أبي طالب المحوريّ في نصرة الإسلام عبر تأليف كُتُبٍ بلغاتٍ مختلفة ونشر مقالاتٍ حوله، وكذلك نشر كلماته القصار وأشعاره وقصصه في وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي. فقد قال الإمام علي عليه السلام: (زكاةُ العِلْمِ نَشْرُه).[١٤٠] وقال الإمام الصادق عليه السلام: (إنّ لكلّ شيءٍ زكاةً وزكاةُ العلمِ أنْ تُعلِّمَه أهلَه).[١٤١]

• التوصية الثانية:

لابد من إنتاج مسلسلات تلفزيونيّة عن حياة أبي طالب الكريمة ومواقفه المبدئيّة. وفي همّةٍ أكبر يجدر العمل لانتاج فيلمٍ سينمائيّ عن سيرته الذاتيّة وكيف عاش كافلًا النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وكيف خاض التحدّيات حاميًا عنه بكلّ صدقٍ وإخلاص.

• التوصية الثالثة:

ينبغي تسمية الشوارع في المدن والقرى باسم أبي طالب، وأيضًا وضع اسمه المبارك على مؤسّسات وعلى دور الأيتام وما شابه، وكذلك بناء مساجد باسمه الشريف.

• التوصية الرابعة:

يجب إدخال هذه الحقائق في مناهج الكتب الدراسيّة بدءً من مرحلة الروضة ثم مرحلة الابتدائيّة الى مرحلة الدراسات العُليا.

• التوصية الخامسة:

من الضروري القيام بفعاليات ثقافية ومسابقات إبداعية تُرصَد لها جوائز ماليّة لتشجيع الكفاءات أن تخوض العمل على كافّة الصُّعُد حول أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ بما في ذلك الرسوم الثابتة وأفلام الرسوم المتحرّكة.

• التوصية السادسة:

يجدر عَمَل وَقْفيّات باسم أبي طالب كالمزارع والمستشفيات ودور الأيتام وتخصيص رَيْعها للعمل الخيري.

• التوصية السابعة:

عقْد مؤتمرات علميّة ولقاءات حواريّة للكشف عن حقائق سيرة أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ.

• التوصية الثامنة:

التأسّي بالرسول الأعظم ﷺ في حزنه على وفاة عمّه أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ، ويتمثّل اليوم بعقد مجالس الرثاء وذِكْر مآثره ومواقفه ومصائبه ومظلوميّته.

فإنه لا ريب أنّ هذا التأسّي يدخل تحت عنوان دعوة الله لنا في قوله تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾.[١٤٢]

وأخيرًا.. لا ننسىٰ بأن السّعي في جميع تلك المجالات مما يدخل السرور على روح نبيّنا الكريم محمّد ﷺ وهو الشاهد الحيّ الذي يعلم ما نقدّمه إليه ويرىٰ عملنا، وما جزاء مَن يسرّ النبيّ ﷺ إلا النصر والنجاح والذّكْر الحَسَن في الدنيا وله في الآخرة الفوز والفلاح والأجر الكبير.

من هذه المنطلقات كان واجب المسلمين هو الوفاء لرجل الوفاء حامي محمّدٍ خاتم الأنبياء عمّه أبي طالب (طاب ثراه). وهذا مما أمرنا الله به حيث قال: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾.[١٤٣]

أللّهم تقبّل منّا هذا العمل وارزقنا شفاعة نبيّك محمّد بن عبدالله ولقاء أئمّتنا المعصومين ورؤية أبي طالب في الجنّة.. وأنت الذي قلتَ في محكم كتابك المجيد: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾.[١٤٤]

تمّ هذا البحث في صباح يوم الثالث عشر من شهر رجب عام ١٤٤٢ ذكرى مولد الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام بمملكة البحرين محافظة المحرّق وتمت المراجعة النهائية للبحث في صباح يوم السادس والعشرين من شهر رجب من نفس العام ١٤٤٢ ذكرى وفاة أبي طالب (رضوان الله عليه).

والحمدلله ربّ العالمين وصلِّ اللهم على سيّدنا محمد وآله الطاهرين.

- **مصادر البحث:**

١/ نهج البلاغة. خطبة رقم ١٠٦

٢/ اقتبسنا هذه المعلومات من مقال للكاتب محمد طاهر الصفار على موقع العتبة الحسينية بعنوان: (أبو طالب بن عبدالمطلب.. سور الاسلام المنيع). راجع أيضًا كُتُب السيرة والتاريخ عن أبي طالب (رضي الله عنه).

٣/ سورة آل عمران - ١٥٤

٤/ سورة الفتح - ٢٦

٥/ سورة الأحزاب - ٣٣

٦/ سورة المائدة - ٥٠

٧/ سورة النحل - ٥٨ - ٥٩

٨/ مفردات غريب القرآن. للراغب الاصفهاني - ص ١٠٢

٩/ سورة المائدة - ٥٠

١٠/ الكافي. للشيخ الكليني - ج ٧ ص ٤٠٧

١١/ نهج البلاغة. خطبة رقم ٩٥

١٢/ نهج البلاغة. خطبة رقم ١٤٩

١٣/ الاحتجاج. للشيخ الطبرسي - ج ١ ص ١٣١

١٤/ موقع (الإسلام سؤال وجواب) بإشراف الشيخ محمد صالح المنجد، السؤال رقم (١٥٤٥٧٣)

١٥/ الميزان في تفسير القرآن. للسيد الطباطبائي - ج ٤ ص ١٥٦

١٦/ الجاهلية والاسلام. للشيخ شمس الدين - ص ١٩

١٧/ بحار الانوار. للشيخ المجلسي - ج ٧٤ ص ١٨٦

١٨/ سورة يوسف - ١١١

١٩/ سورة يس - ٢٠

٢٠/ مِن هُدىٰ القرآن. للسيد المدرّسي - عند تفسير الآية.

٢١/ راجع تفسير الصافي. للفيض الكاشاني - عند تفسير هذه الآيات.

٢٢/ سورة غافر - ٢٨

٢٣/ سورة الأحزاب - ٢٣

٢٤/ سورة الحديد - ١٠

٢٥/ سورة التوبة - ١٠٠

٢٦/ سورة الأعراف - ١٥٧

٢٧/ سورة الواقعة ١٠ - ١١

٢٨/ أخرجه ابو نعيم، وابن عساكر وابن النجار، راجع الحديث ٣٠ - ٣١ من فصل ٢ باب ٩ من الصواعق لابن حجر - ص ٧٤

٢٩/ وسائل الشيعة (طبعة آل البيت)- ج ١٦ ص ٢٣٢

٣٠/ شرح نهج البلاغة. لابن أبي الحديد - ج ١٤ ص ٦٤

٣١/ نفس المصدر

٣٢/ أبو طالب مؤمن قريش - عبدالله الخنيزي - ص ١٥٣ نقلًا عن عدة مصادر كالطبري والاصابة والسيرة الهشامية والنبوية والحلبية وغيرها كثير .

٣٣/ مصابيح الاصول. للسيد الخوئي - ج ١ (مباحث الالفاظ) ص ٣١٥-٣١٦

٣٤/ سورة الضّحىٰ - ٦

٣٥/ طبقات. لابن سعد - ج ١ ص ٥٠-٥١

٣٦/ أسنىٰ المطالب - ص ٣٩. والسيرة النبويّة - ج ٢ ص ٢١. والسيرة الحَلَبيّة - ج ١ ص ٤

٣٧/ مروج الذهب - ج٢ ص ١٠٨-١٠٩

٣٨/ السيرة الحَلَبيّة - ج١ ص٤. والسيرة النبويّة - ج١ ص٢١. وقريب منه في أنساب الأشراف - ج١ ص٨٤

٣٩- بحار الأنوار. للشيخ المجلسي - ج١٥ ص١٤٤ و ١٤٦ و ١٥٠

٤٠/ بحار الأنوار. للشيخ المجلسي - ج ١٥ ص١٥٢ - ١٥٣

٤١/ كتاب الحُجّة. ص ٢٨٨ و ٢٨٩

٤٢/ المجالس السنيّة - ج٤ ص ٣٦

٤٣/ أعيان الشيعة. للسيد أمين - ج٣٩ ص١٢٥ وبحار الأنوار - ج٦ ص٤٦

٤٤/ مؤمن قريش - ص ١١٠

٤٥/ بحار الأنوار - ج٦ ص٤٣

٤٦/ الخرائج والجرائح. لقطب الدين الراوندي - ج١ ص ١٣٨. بحار الأنوار - ج ١٧ ص ٣٦٣ - ٣٦٤

٤٧/ مناقب آل أبي طالب. لابن شهر اشوب - ج١ ص ٣٥

٤٨/ بحار الأنوار. للشيخ المجلسي - ج٣٥ ص١٤٨

٤٩/ سورة الشعراء - ٢١٤

٥٠/ الطرائف في معرفة الطوائف. لابن طاووس - ص ٢٩٩ - ٣٠٠

٥١/ الكامل. لابن أثير - ج٢ ص ٦١

٥٢/ تاريخ اليعقوبي - ج٢ ص ٢٧ - ٢٨

٥٣/ الغدير. للشيخ الأميني - ج٦ ص٣٣٩ - ٣٥٣

٥٤/ نفس المصدر - ص٣٥٦

٥٥/ تاريخ الطبري - ج٢ ص٦٧ - ٦٨. والسيرة النبويّة. لابن هشام - ج١ص٢٦٦ و٢٦٧ وص ٢٨٢. والكامل. لابن أثير - ج٢ ص٦٣. وسيرة المطصفى. للحسني - ص١٤٩. والغدير - ج٧ ص٣٦٠

٥٦/ روضة الكافي. للشيخ الكليني - ص٣٤٠ حديث رقم ٥٣٦

٥٧/ سورة التوبة - ١٢٨

٥٨/ نَقَلَ هذه الوصية جملةٌ من المؤرخين وأصحاب السّيَر والمحدّثين في كتبهم.. منها المواهب اللّدنّية للقسطلاني المتوفى سنة ٩٢٦ هـ ج ١ ص ٧٢. وتاريخ الخميس لحسين بن محمد الديار بكري المتوفى سنة ٩٦٦ هـ ج ١ ص ٣٣٩. وثمرات الأوراق في هامش المستطرف لابن الحجّة الحَمَوي المتوفى سنة ٨٢٧ هـ ج٢ص٩. وبلوغ الأرب للنويري ج١ص٣٢٧. والسيرة الحَلَبية للحلبي المتوفى سنة ١٠٤٤ هـ ج

١ ص٣٧٥. والسيرة النبويّة لزيْني دَحْلان المطبوعة في هامش السيرة الحَلَبية ج ١ ص ٩٣. وأسنى المطالب لأبي الخير الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ٨٣٣ هـ ص٥

٥٩/ الغدير. للشيخ الأميني - ج٧ ص٣٦٧

٦٠/ سورة الرحمن - ٦٠

٦١/ الكافي. للشيخ الكليني - ج١ ص٤٤٦

٦٢/ سورة الصفّ - ٢ - ٣

٦٣/ السيرة النبويّة. لابن هشام - ج ١ ص٢٢٦

٦٤/ سورة النحل - ١٠٦

٦٥- مقتل الحسين (عليه السلام). لابن مخنف - ص١٣٢. وينابيع المودة. للقندوزي - ص٤١٦. ومعالي السبطين - ص١٢٢. وناسخ التواريخ - ج٢ص٣٧٦. كما في موسوعة كلمات الامام الحسين - ج٧ص٤٩٢

٦٦/ صحيح مسلم - ج١ ص١٣٤ (كتاب الايمان باب شفاعة النبي لأبي طالب)

٦٧/ سورة النساء - ١١٥

٦٨/ الغدير. للشيخ الأميني - ج٧ ص٣٣١

٦٩/ سورة النجم - ٢٢

٧٠/ الكافي. للشيخ الكليني - ج٢ ص٥٧٣

٧١/ الحُجّة على الذاهب لتكفير أبي طالب. للسيد فخّار بن مُعَد - ص٣٠٥

٧٢/ إيمان أبي طالب. للشيخ المفيد - ص٤٠

٧٣/ إيمان أبي طالب. للشيخ الأميني – ص١٠
٧٤/ الحُجّة على الذاهب لتكفير أبي طالب. للسيد فخّار بن مُعَد – ص٢٠٧
٧٥/ مقاتل الطالبيين – ص٣٩٦
٧٦/ تفسير القرطبي – ص٣٥٩-٤٠٦
٧٧/ مقاتل الطالبيين – ص٣٩٦
٧٨/ السيرة الحَلَبيّة – ج١ ص١٩٠
٧٩/ مواقف الشيعة. للأحمدي الميانجي – ج١ ص٩٠
٨٠/ خزانة الأدب – ج٢ ص٦٩
٨١/ مقاتل الطالبيين – ص٣٩٦
٨٢/ الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة. للسيد علي خان المدني – ص٥٧
٨٣/ عيون الأنباء – ص ٧٠٥. وشيخ الأبطح – ص ٥٥ – ٥٦ نقلًا عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد – ج ٣ ص ٣١٦
٨٤/ سورة التوبة – ١١٣
٨٥/ الحُجّة على الذاهب لتكفير أبي طالب. للسيد فخار بن معد – ص٢٠٥
٨٦/ بحار الأنوار – ج٣٥ ص١٢٤ و ١٥٠-١٥١
٨٧/ أبو طالب مؤمن قريش – ص ٨٧١ ، نقلًا عن شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد – ج ٣ ص ٣١٣
٨٨/ السيرة النبويّة. لابن اسحاق المدني – ص ٢٥٥
٨٩/ بحار الأنوار – ج٣٥ ص١٢٣

٩٠/ كنز الفوائد - ج١ ص١٨٤
٩١/ بحار الأنوار - ج٣٥ ص١٤٩
٩٢/ موسوعة الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع). للشريف قرشي - ج١ ص٢٨
٩٣/ مناقب آل أبي طالب. لابن شهر آشوب - ج١ ص٦١
٩٤/ بحار الأنوار - ج١٢٠ ص٣٥
٩٥/ مَن لا يحضره الفقيه - ج٣ ص٣٩٨
٩٦/ بحار الأنوار - ج٣٥ ص١١٦
٩٧/ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد - ج١٤ ص٧٢
٩٨/ بحار الأنوار - ج٣٥ ص١١٦
٩٩/ مناقب آل أبي طالب. لابن شهر آشوب - ج١ ص٥٦
١٠٠/ الغدير. للشيخ الأميني - ج٧ ص٣٦٥
١٠١/ مناقب آل أبي طالب. لابن شهر آشوب - ج١ ص٥٨
١٠٢/ سورة النجم - ٢ - ١١
١٠٣/ البداية والنهاية. لابن كثير - ج٣ ص١٥١
١٠٤/ بحار الأنوار - ج٢٢ ص٢٦١
١٠٥/ سورة الأنبياء - ٩٤
١٠٦/ سورة التوبة - ١١٩
١٠٧/ بحار الأنوار - ج٣٥ ص١١٧

١٠٨/ أسنى المطالب - ص٢٤

١٠٩/ الطبقات. لابن سعد - ج١ ص١٠٥

١١٠/ تاريخ اليعقوبي - ج٢ ص٣٥

١١١/ تفسير الأمثل - ج٤ ص٢٥٢

١١٢/ السيرة الحَلَبيّة ج١ص٣٨٢. ذخائر العقبى - ص٧. والدرج المنيفة. للسيوطي - ص٨. وتفسير القمي - ج١ ص٣٨٠. وتفسير البرهان. للتوبلاني - ج٢ ص٣٥٨. وتاريخ اليعقوبي - ج٢ ص٣٥

١١٣/ الغدير. للشيخ الأميني - ج٧ ص٣٧٨

١١٤/ وسائل الشيعة. للحُر العاملي - ج١٦ ص٢٣١

١١٥/ الامامة والتبصرة. لابن بابويه - ص ٣٤

١١٦/ أرجح المطالب - ص٤٦٢

١١٧/ عليٌّ والوصيّة - ص١٨٦

١١٨/ أصول الكافي. للكُلَيْني - ج١ ص٥٢٦ باب١٦٩ ح٣

١١٩/ سورة القصص - ٧

١٢٠/ كمال الدّين. للشيخ الصدوق - ج١ ص١٧٤ حديث ٣٢

١٢١/ وسائل الشيعة - ج١٦ ص ٢٣١

١٢٢/ بحار الأنوار - ج٣٥ ص١١٥. والغدير - ج٧ ص٣٩٤. والكُنىٰ والألقاب. للشيخ القمي - ج١ ص١٠٩

١٢٣/ بحار الأنوار - ج٣٥ ص١١٠. وأمالي الطوسي - ص ٣٠٥. وتأويل الآيات الظاهرة - ج١ ص٣٩٧. وكَشْف الغُمّة - ج٢ ص٤٢. وبشارة

المصطفى – ص ٣١١. وتفسير الصافي – ج ٤ ص٩٧. وكنز الفوائد – ص٨٠. والاحتجاج. للطبرسي – ج١ ص٣٤١. ومائة منقبة – ص ١٧٤. والدرجات الرفيعة – ص٥٠

١٢٤/ بحار الأنوار – ج ٢٢ ص٢٨٨ وج٤٤ ص٢٨٨ ومعجم رجال الحديث. للسيد الخوئي – ج١٩ ص١٦٦

١٢٥/ بحار الأنوار – ج ٣٥ ص١١٦. والغدير – ج٧ ص٣٩٠

١٢٦/ تذكرة الخواص – ص٩

١٢٧/ كنز الفوائد للكراجكي ص٨٠ وتفسير ابو الفتوح – ج٤ ص٢١١. والدرجات الرفيعة – ص٥٠. ومنية الراغب – ص ٢٨. والغدير – ج٧ ص٣٨٧. وشرح نهج البلاغة. لابن ابي الحديد. ج١ ص٦٨

١٢٨/ بحار الأنوار – ج٣٥ ص١١٢

١٢٩/ شرح نهج البلاغة. لابن ابي الحديد – ج١٤ ص٧١

١٣٠/ تاريخ بغداد – ج ١٤ ص ٣٢١ بسنده أبي ثابت مولى أبي ذر، وفيه: "علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة". والمستدرك على الصحيحين – ج٣ ص ١٢٤ بسنده عن أم سلمة بلفظ: "علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض". وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد – ج٧ ص ٢٣٥ – ٢٣٦ عن سعد بن أبي وقاص، بلفظ "علي مع الحق أو الحق مع علي حيث كان"، وفي ج٩ ص ١٣٤ عن أم سلمة بلفظ "علي مع القرآن والقرآن مع علي". وروى الديلمي في الفردوس – ج٣ ص ٦٤ الحديث ٤١٧٩، والمتقي الهندي في كنز العمال ١١ الحديث ٣٢٩١٠، وروى الخوارزمي في مناقبه – ص

١٠٥ عن أبي أيوب الأنصاري في حديث جاء فيه "يا عمّار، إذا رأيتَ عليًّا سَلَكَ واديًا، وسَلَكَ الناسُ واديًا غير، فاسْلُكْ مع عليّ ودَعِ الناسَ، إنه لن يُدلِّيَك في رَدىٰ ولن يُخرجَك مِن الهُدىٰ" - الحديث

١٣١/ كنز الفوائد - ج١ ص١٨٣

١٣٢/ بحار الانوار - ج٣٥ ص١١٢

١٣٣/ شرح نهج البلاغة. لابن ابي الحديد - ج٢ ص٢٧٨

١٣٤/ كنز الفوائد - ج١ ص١٨٣

١٣٥/ ايمان أبي، طالب للأميني ص٩٢

١٣٦/ كنز الفوائد - ج١ ص١٨٣

١٣٧/ سورة ق - ٣٧

١٣٨/ الصحيفة السجادية - دعاء رقم ٣٨

١٣٩/ سورة النجم - ٣٩ - ٤٢

١٤٠/ غرر الحكم ودرر الكلم. للآمدي - ١٣١

١٤١/ مشكاة الأنوار في غرر الأخبار - ص ٢٤٣

١٤٢/ سورة الأحزاب - ٢١

١٤٣/ سورة آل عمران - ١٠٤ - ١٠٨

١٤٤/ سورة الأعراف - ٤٢-٤٣

الفهرس

آية الكتاب.....٥
رواية الكتاب.....٦
كلمة الإهداء.....٧
شعار المؤلف.....٨
المقدّمة.....٩

مدخل البحث:.....١٣
أوّلًا: مَن هو أبو طالب؟ وما هي سماته الشخصيّة:.....١٣
ثانيًا: أهمّ سمات مرحلته الزمنيّة الصعبة:.....١٧
من القرآن الكريم:.....١٨
ومن روايات أهل البيت عليهم السلام حول زمن الجاهليّة:.....٢٠
ومن أقوال علماء السنّة والشيعة عن الجاهليّة قبل الإسلام:.....٢٢
١- رأي أهل السنّة:.....٢٢
أ- في جانب العقيدة:.....٢٣

ب- في جانب الولاء السياسي: ٢٤
ج- في جانب الأخلاق والسلوك والعادات: ٢٤
د- المرأة في الجاهلية: ٢٦

٢- رأي الشيعة: ٢٧

الفصل الأوّل ٢٩
التمهيد: ٣١
الدليل النقلي.. من القرآن الكريم: ٣٢
الدليل النقلي.. من السنّة الشريفة: ٣٩
الدليل العقلي بقاعدةٍ أصوليّة: ٤٣
الأولى: المقدّمة الوجوبيّة: ٤٣
الثانية: المقدّمة العلميّة: ٤٤
الثالثة: مقدّمة الصحّة: ٤٤
الرابعة: المقدّمة الوجوديّة: ٤٤

الفصل الثاني ٤٧
التمهيد: ٤٩
القسَم الأوّل: ٥٢

القِسم الثاني: ٥٩
المرحلة الأولى: ٦٢
المرحلة الثانية.. ..... ٦٣

الفصل الثالث **٦٩**
التمهيد: ٧١
المسألة الأولى ٧١
المسألة الثانية: ٧٧
في توحيد الله: ٧٩
في ايمانه بالرسول الأعظم: ٧٩

نماذج من المواقف والأشعار: **٨٣**
١- رجلٌ بِجدارةِ الـرُّجُولة: ٨٣
٢- إنَّك لَـمُـبارَك: ٨٤
٣- ثلاث استسقاءات مُجابة: ٨٥
٤- رسالةُ تَحَدٍّ في قالبِ شِعْر: ٨٧
٥- إنّـه اسْـتَـجَارَنـي: ٨٨
٦- فَـكانَ مَا أراد: ٨٩
٧- مروءةٌ هاشمـيّة و"دّبلوماسيّةٌ" طالبيّة: ٨٩

٨- ورسالةٌ إلى أخيه حمزة: ٩١
٩- وإلّا عَلَوْتُ رءوسَكُم بالسّيف: ٩٢
١٠- خطبة الزواج.. بلاغةٌ ايمانيّة: ٩٣
١١- تخليد شِعْر أبي طالب: ١٠٨
١٢- نور أبي طالب في يوم القيامة: ١٠٩
١٣- حُـبٌّ لِأجل حُـبٍّ: ١١٠
١٤- مات مسلمًا مؤمنًا: ١١١
١٥- رثاء علي عليه السلام لأبيه: ١١١
١٦- وا عَـجَـباه: ١١٢
١٧- الحجّ نيابةً عن أبي طالب: ١١٢
١٨- الرضا لرسول الله: ١١٣

١٩- وحَسُنَ أولئِك رفيقًا: ١١٤
٢٠- كفّة ميزان أبي طالب هي الأرْجَح: ١١٤
٢١- الاستدلال بالآثار: ١١٥
٢٢- رسالةٌ خطيرة: ١١٦

(خاتمة بتوصيات مهمَّة) **١١٧**
التوصية الأولى: ١١٨

التوصية الثانية: ١١٨
التوصية الثالثة: ١١٨
التوصية الرابعة: ١١٩
التوصية الخامسة: ١١٩
التوصية السادسة: ١١٩
التوصية السابعة: ١١٩
التوصية الثامنة: ١٢٠

مصادر البحث: ١٢٢

من المقدمة:

هذا بحثٌ يهدف إلى بلورة الملامح الإيمانيّة في شخصيّة أبي طالب ومواقفه المبدئيّة.. ذلك المؤمن الوفيّ لوصيّة أبيه عبد المطلب سيّد قريش؛ حيث أحسن كفالةَ ابن أخيه محمّد بن عبدالله ﷺ وحمى هذه الأمانة الغالية بكلّ صدقٍ وإخلاصٍ ونباهة ساعيًا إلى إقناع الناس في مكّة برسالة الإسلام التي جاء بها الرسول الأعظم ﷺ.

أبو طالب.. رجل المرحلة الصعبة قبل إعلان النبيّ ﷺ دعوته الصادقة، ومن بعد إعلان الدعوة قد اشتدّ تصلُّبُهُ في استقامته الجهاديّة حتّى نال بها مقامًا محمودًا عند الله تعالى بشهادة رسول ربّ العالمين ﷺ وأئمة الهُدىٰ عليهم السلام وكبار الصحابة الأجلّاء والمؤرّخين المنصفين.

قبساتٌ من ملامح هذا الرجل المؤمن العظيم في آرائه الايمانيّة ومواقفه المبدئيّة هي موضوع هذا البحث الذي كـتبتُه تلبيةً لدعوةٍ كريمةٍ تلقّيتُها من "المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام في حوزة قم المقدّسة" والقائه عبر برنامج (skype) في (المؤتمر الدولي لأبي طالب حامي الرسول الأعظم ﷺ في مدينة قم المقدّسة، وهو بحثٌ يقوم على مقدَّمةٍ وأربعةِ فصولٍ وخاتمةٍ بثمانية توصيات.

مكتب العلامة المحقق المهتدي

0097336445446 AlMuhtadiOffice
www.almuhtadi.com info@almuhtadi.com